19 me, année No 921

Le Caire 26 — 2 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨٦ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٢١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ — ٢٦ فبراير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الانسانى

للأستاذ عمر حليق

— ٥ —

النتائج الاجتماعية للاختيار الدينى (١)

ليس التاريخ الدينى إلا تاريخ الصراع الناجح الذى توصل فيه الإنسان إلى التعبير عن الانفعالات النفسانية والطمأنينة الروحية التى اختبرها فى امتثاله لتعاليم الأديان على حد قول (جورج سميل) الفيلسوف الاجتماعى الألمانى (٢)

حاول سميل ومفكر بريطانى آخر (٣) أن يتلمسا أوجه الشبه بين النظم الروحية وبين النشاط الفكرى الذى يحمل فى ثناياه متعاً روحية كالفن والشعر والأدب الرفيع وفلسفة التشريع والعلوم المادية

وليس يعنينا فى هذا البحث استعراض أوجه الشبه هذه وإنما لفتنا النظر إليها لبيان ما تنطوى عليه ممارسة بعض المثقفين المحدثين من الذين نفروا من الحياة الدينية واستعاضوا عنها بالفن والمتعة الروحية المستمدة منه ومن فلسفة التشريع والعلوم الطبيعية

ولعلنا نوفى هذا الاستعراض حقه إذا حاولنا التعرف على حقيقة الاختيار الدينى والمسالك العاطفية والنفسانية التى ينتهجها

يحلو لبعض الناس ومنهم الصوفية والمنقطعون إلى العبادة أن ينادوا بأن الدين فى أصوله ليس إلا تأملات فى النفس وخالقها وفى النظام الكونى . ويقول الدنيويون من خصوم الحياة الدينية إن الأديان وليدة التأمل فى الخليقة وبارئها ؛ وعليه يجب ألا تتعدى حدود التأمل والعبادة

ومثل هذا الوصف لا يعطى إلا صورة مشوهة عن وظيفة الدين وحقيقة الاختيار الدينى

ولقد رأينا كيف حاول (دركهايم) أن يجيب عن التساؤل الذى شغل الناس فى الغرب منذ قرون وهو : هل تسبق العقيدة الاختيار الدينى، أم أن ذلك الاختيار هو الذى يساعد على رسوخ العقيدة فى نفسية المؤمن ؟ وهل الطقوس الدينية مستمدة من العقيدة ، أم الصواب عكس ذلك ؟

---

(١) الاختبار الدينى تعبير وسط لا يعنى به كاتب هذه السطور الانقطاع للحياة الروحية المجردة ، ولا يعنى به كذلك مجرد الانتماء إلى عقيدة من العقائد السماوية، وإنما هو ذلك الوضع الذى يعتنق فيه امرؤ مذهباً دينياً ويؤمن به إيماناً صادقاً يستمد منه المتعة الروحية والطمأنينة النفسانية ويمثل القيم والمثل الأخلاقية التى تنطوى عليها تعاليم ذلك المذهب الدينى . ولعل كلمة التقوى أقرب المصطلحات الاسلامية إلى هذا التعبير

(٢) George Simmel Contribution to the Sociology of Religion

(٣) J. Macmurray, Structure of Religious Experience,

فكان الجواب أن هناك تواكلا بين العقيدة والاختيار الديني المعبر عنها . فهما عنصران يكونان حلقة واحدة ؛ فالتساؤل عن إيضاحها كالتساؤل عن إيضاح السؤال المنطقي القديم « من يأتي أولا ؟ الدجاجة أم البيضة » ؟

وحاول مفكر ألماني شهير أن يضع لهذا التساؤل حدا يرد به على الدينويين فقال : إن الاختيار الديني هو في الواقع مزيج من الإدراك العقلي والشعور النفساني (السيكولوجي) وليس المهم أن نحدد أيهما يسبق الآخر ، وإنما المهم أن نقرر بأن الاختيار الديني سلوك يدور في نطاق هاتين الحقيقتين [١]

وأخذ كاتب ألماني آخر [٢] هذا الجواب وبنى عليه بحثا جمله في ثلاثة أبواب :—

(١) العقيدة والاختيار الديني

(٢) الطقوس والاختيار الديني

(٣) النتائج الاجتماعية للاختيار الديني

وسنعتمد إلى حد بعيد على هذا التقسيم في هذا الفصل من دراستنا

العقيدة

يقول (لاوي بروهل) في دراسته الشهيرة [٣] إن الأسطورة أو الخرافة التي تتعلق بها المجتمعات البدائية تتطور فتصبح عقيدة عند المجتمعات المتحضرة . وللأساطير لغتها المنطقية الخاصة . والأساطير التي تتعلق بالآلهة عند المجتمعات البدائية تتفرع وتتشعب ولكنها تتحد في الجوهر . وحين يأخذ المجتمع البدائي بأسباب الحضارة تتقلص أنواع أساطيره ويندثر بعضها لتفسح الطريق أمام ملحمة محبوكة الأجزاء . ويلعب التطور الفكري والنمو العقلي دوره الكبير في خلق هذه الملحمة مطهرة من الأدران والسخافات التي لا يدرك الفكر البدائي سذاجتها . ويصاحب هذا النمو العقلي عادة تركز السلطة الروحية التي تعبر عنها هذه الملحمة في يد الكهنة وخدام الآلهة والهيا كل المقدسة

وفي هذه المركزية تصاغ الرموز والتعبيرات الدينية وتصبح هذه الرموز (التي كانت فيما قبل شفهية تتناقل بالرواية) سجلا للجماعة التي تؤمن بها وتحتفل لتعاليمها . ويقوم الكهنة جيلا بعد جيل بشرح هذا السجل وإحاطته بهالة من المنطق والرشاد ، ومن ثم ينشأ علم اللاهوت ونظام الكهنوت

ويبقى هذا التراث السجل وقفاً على الكهنة وأعوانهم بينما يكتفي الأتباع بمعرفة الخطوط الرئيسية لهذا التراث السجل

والعقيدة التي تنشأ على هذا النوال لاتتحمل تفنيداً ولاتتعرض للنمو الصحي ؛ وإنما تظل منطوية على كثير من المراء والسفسطة والزيغ الذي لا يقبله العقل السليم

وعلى مبلغ صدق العقيدة وصحة ألوهيتها تتوقف سماحة الدين . فالعقيدة التي تظل محصورة في يد الكهنوت تعجز عن مماشاة التقدم الفكري والرقي العقلي للفرد وللجماعة

أما العقيدة الإلهية الصادقة التي لم تنشأ عن الأساطير والخرافات وإنما نشأت عن وحي من الإله العلي المعظم ورسله المختارين فلا يجد الجدل إلى جوهرها سبيلا . فهي ليست وقفاً على طائفة من الكهنة ولا هي نظام إداري تنحصر وراثته في نفر معين من الأتباع ؛ وإنما هي مشاع بين الناس وتراثها السجل في متناول الجميع

والإسلام عقيدة أوحى بها الله إلى نبيه المختار ورسوله المصطفى ؛ والرسول الكريم لم يكن كاهناً يحتكر المعرفة الدينية وإنما كان مبشراً ونذيرا يدعو الناس إلى اتباع هذه المثل العليا التي نزل بها الوحي عليه ، ويضع القرآن الكريم في يد كل من يستطيع قراءته ومن لا يستطيع . ولقد يجوز لنا أن نقول كذلك إن نظام الصلاة في الإسلام كما أوحاه الله تعالى إلى رسوله الكريم قد عني به بالإضافة إلى الطهارة الروحية والجسمانية ، وحق الخالق على المخلوق بالإضافة إلى هذه الحقائق المجيدة أن يستمع الناس إلى كلمة الله صافية خالية من التأويل والتفسير . وكأن البارى عز وجل لم يكتف بتجريد الإسلام من الكهنوت ، بل أوصى جل جلاله في طريقة عملية ألا نكون هناك صلات بين العبد وبارئه غير صلات الروح والفكر المستمدة من الاقتناع الشخصي

والسنة الاسلامية الموروثة أن يلقن القرآن الكريم للأحداث

---

(١) H. Faftesbrink The meaning of objectivism.

(٢) J. wach. Sociology of Religion.

(٣) Primitive Mentality

فى سن مبكرة ، فينشأوا ولا غموض يكتنف عقيدتهم ، ولا هالة تحيط بطقوس دينهم ، ولا وساطة بينهم وبين العلى العظيم

والتخصص فى دراسة الدين الإسلامى فى معاهد العلم لا يفترض مركزية روحية ولا ينطوى على احتكار لعلوم الدين. وما يقوم به رجال الدين فى الإسلام يكاد ينحصر فى تذكير العباد بكلمة الله كما نزلت فى القرآن الكريم وكما عززتها الأحاديث النبوية واجتهاد الأئمة والصالحين

وكل مستمع إلى خطب الجمع والأعياد يلمس ذلك كله لمساً تاما . وكل دارس للتراث الإسلامى فى الفقه والتشريع وما إليه يدرك ذلك من أول وهلة

فالأزهر وغيره من معاقل العلوم الدينية لا يخرج كهنة، وإنما يؤهل طلبته لنشر الدعوة الإسلامية وشرحها وتوضيحها للفرد وللجماعة الذين عاقتهم شؤون الحياة اليومية عن استذكار التعاليم الدينية وما انطوت عليه من حكم وموعظات

فوظائف رجال الدين فى الإسلام على تنوعها لا تتعدى الوعظ والتعليم والإفتاء، وكلها نشاط متمم للثقافة الدينية التى بدأها الحدث المسلم فى سنه الباكرة

وقد اتجهت البروتستانتية إلى الاقتداء بالإسلام فى هذا المضمار والواقع أن البروتستانتية فى بعض أسسها الجوهرية لم تكن إلا ثورة على كهنوت الكنيسة وما أحدثه من دكتاتورية دينية على النحو الذى يعرفه المطلعون على تعاليم لوثر وكالفين وجماعة الموحدين «١»

وخلو الإسلام من سلطة الكهنوت الروحية واهتمامه ببيان العقائد والعبادات لا ينفى أن أحكامه تستوجب نوعا آخر يراد به تنظيم السلطة الدينية وموقفها إزاء الفرد والجماعة وتنظيم علاقات الأفراد بعضها ببعض . فقد شرع الإسلام القصاص فى القتل وغير ذلك من الجرائم ، وشرع الدية وشرح كثيراً من أحكام الأسرة والمعاملات الشخصية . ولا يمكن أن يكون شرع هذه الأحكام لمجرد البيان والإرشاد دون الأمر بإقامتها والحكم بها فى المحاكم الشرعية ، وهى سلطة دينية تستمد وزنها وأحكامها من الشرع والتعاليم الاسلامية ، ولكنها مع ذلك بعيدة كل البعد ومغايرة كل المغايرة لسلطة الكهنوت . فلكل فرد من المسلمين الحق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر «والنكوص عنه مع القدرة عليه إثم عظيم » كما قال فضيلة الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية السابق فى خلال النقاش عن السلطة الدينية وحقوقها وواجباتها «١»

ولنعد إلى صلب موضوعنا . رأينا مع (لاوى روهل) كيف ينشأ الكهنوت من تركز السلطة الروحية فى يد جماعة مختارة من الحافظين لتراث الدين المسجل ، وكيف أن هذا الكهنوت بحكم احتكاره للمعرفة الدينية وحقوقها وواجباتها قد وضع ما يعرف فى بعض الديانات باسم « اللاهوت »

وحين خرج من قبضة الكهنوت احتكار المعرفة الدينية وأتيح لبعض النابهين من الرعية التعمق فى الدراسة والاستقراء نشأت الفلسفة الدينية وأخذت تجادل الكهنوت فى أسرار الدين وتأويلاته وتحليلاته وأحكامه وتفاسيره

ووجد الكهنوت فى بعض الحالات أنفسهم فى مأزق حرج فلم يكن استعدادهم الفكرى ليتحمل هذا النقد ؛ وذلك لأن حياة الكهنوت فى عزلة عن الحياة اليومية ، ولأن اللاهوت الذى وضع الكهنة على مدى الأجيال أسسه ومبادئه كان قد أهمل فى كثير من الحالات مراعاة الحقائق الاجتماعية ؛ ولذلك فقد وجد الفلاسفة ومن ورائهم علماء الطبيعة مآخذ على العقيدة الدينية كما يحفظها الكهنة ويبشرون بها ويعرضونها على سلوك الناس . واشتط الفلاسفة وعلماء الطبيعة فى تهجمهم على الكهنة ولاهوتهم

١ جماعة الموحدين حركة بروتستانتية يزداد أتباعها فى أمريكا يوماً عن يوم. ويفخر الداعون إليها بأنها دين الشعب بمعنى أن الصلاة يؤمها أى مؤمن من المؤمنين ، وليس للقساوسة شأن كبير فى هذه الحركة إذ أن من أهدافها الرئيسية رفع الوساطة بين المرء وربه وجعلها على مثل التعاليم الإسلامية التى تنظم علاقة الانسان بالعزة الالهية . وقد تسنى لكاتب هذه السطور أن يتحدث عن الاسلام فى حلقة لدراسة العقائد الدينية نظمتها اللجنة المركزية لجماعة الموحدين فى جامعة هارفارد وقد أبدى الحضور مزيدا من الاهتمام بطبيعة النظم الدينية والسلوك الدينى فى الاسلام وقررت الحلقة فيما قررت أن تتصل بالمراجع الاسلامية فى مصر والباكستان للتوسع فى دراسة هذه النظم الاسلامية من مصادرها الأصلية

١ — راجع جريدة المصرى أعداد ٢ ، ٣ ، ٤ يونيو سنة ١٩٥٠ والنقاش الذى دار بين الأستاذ محمد خطاب بك وجماعة كبار العلماء فى الأزهر حول مصادرة كتاب « من هنا نبدأ » الذى وضعه الشيخ محمد خالد

روافع المجتمع ..

للأستاذ محمد محمود زيتون

لم تعد الدراسات الاجتماعية عقوداً من إرشادات ونصائح ، أو فرائد من أفكار مرتجلة هى بضاعة ذوى المآرب فى الدعاية لأشخاصهم والترويج لمبادئهم أو أحزابهم . مضى كل ذلك مع أمس الدابر ، يوم أصبح المجتمع فى نظر العلم الحديث موضوعا للمقاييس ومجالا للمناهج ، وميدانا للقوانين العامة أقصى ما يكون العموم . وبذلك كان الاجتماع البشرى آخر معقل من معاقل العرفان غزته جيوش العلم واتخذت منه معسكرا

وليس أدل على ذلك من قوانين الاقتصاد التى أصبحت رموزا ومعادلات جبرية تسير بمقتضاها الظواهر الاجتماعية كما هو معروف فى قوانين العرض والطلب ، وقانون «ملتوس» فى تزايد السكان . وانضوت البحوث السيكلوجية ـ هى الأخرى ـ تحت لواء العلم منذ وجدت النزعة العلمية الحديثة أرضا خصبة لها فى كل مكان

وهذا علم الاجتماع لم يشذ عن هذا المضمار ، فقد ميز فيه « دور كيم » جانبين هامين هما « الاستاتيكية » و« الديناميكية » شأنه فى ذلك شأن الكهربائية فى جانبيها «الذاتى» و«الانتقالى» ، واعتبر النشاط الاجتماعى عن ظواهر أو وقائع Faits ينظر إليها العلم على أنها « أشياء » choses من حيث خضوعها للحواس من جهة ، وللمقاييس من جهة أخرى . ثم من حيث أنها تسير حسب قوانين صارمة لا تتخلف ، وعلى الباحث أن يجد فى كشف هذه القوانين المضارعة لقانون الضغط مثلا ، فإنه لم يكن قد اكتشف بعد ، بينما آثار الظواهر لا تنكر

وقد حرصت المدرسة الاجتماعية الفرنسية الحديثة على طبع فروع العلم الاجتماعى بهذا الطابع العلمى الخالص ، وظهرت آثار هذا الحرص فعلا فى دراساتها لعلوم الأخلاق والسياسة والدين والقضاء والجمال

وإذا كان « دور كيم » قد اقتبس من الفلك والكهرباء والفزياء والكيمياء على أوسع نطاق ، فلا حرج علينا إذا اتخذنا

فى تحيز أفسد عليهم الرشد والنزاهة ؛ وأصبحت العقيدة الدينية بفضل هذا الصراع علما على الإيمان الساذج سذاجة الجهل والتعصب الأعمى الذى تبثه ديكتاتورية الكهنوت فى العقول الساذجة والقلوب القلقة نشأت . ولم تقتصر هذه الوصمة على الأديان التى تطورت من الخرافات والأساطير ، وإنما شملت الأديان السماوية التى أوحى بها الله إلى رسله وأنبيائه

وأصبحت الفلسفة ونظرة الطبيعيين إلى الحياة والمادة علما على التحرر والفكر الطليق . ولكن هذا الانطلاق (كما بينا فى مستهل هذا البحث) لم يستطع أن يزعزع الإيمان الصادق أو أن يطوح بالنزعة الدينية والطمأنينة والاستقرار الذى يهيمن على من يختبرون فى صدق الحياة الدينية . وبازدياد الصراع بين العقل المجرد والعقيدة الدينية ازدادت البلبلة الفكرية والفوضى الأخلاقية وتعرض المجتمع إلى مشكلات لم تكن الفلسفة ولا العلم الطبيعى مستعدين لعلاجها

فإذا نشأت فى العالم اليوم نزعة إلى التوفيق بين الحياة الروحية والظواهر الطبيعية والحقائق الاجتماعية فما ذلك إلا لأن هذه الأمور جميعها تؤثر فى حياة الفرد والمجتمع

وسنحاول فى الفصل القادم أن نتعرف جوهر العلاقات بين هذه الأمور متابعين البحث فى النتائج الاجتماعية للاختيار الدينى ومجارين بذلك هذا الاتجاه الجديد فى التفكير الغربى الذى أقلقه تطور العلوم الطبيعية التى قطعت صلاتها بالقيم الأخلاقية التى يبشر بها الدين فأنتجت القنابل الذرية والمشاكل النفسانية التى تعبث بمجتمع مفكك الأوصال مشحون بالفوضى والقلق

نيويورك — للبحث صلة — عمر حليم

من الميكانيكا استعارة صريحة نستعين بها على فهم المقومات العامة للمجتمع الموزون فى قواه الداخلية والخارجية

وتتركب الرافعة - وهى نوع من الميزان كما تعلم - من محور الارتكاز والقوة والمقاومة ، ولا يستقيم الميزان إلا إذا تحققت المعادلة الآتية أياما كانت الرافعة : القوة فى ذراعها تساوى المقاومة فى ذراعها

والروافع ثلاث كنا نحفظها ونحن تلاميذ بالسنة الثالثة الابتدائية بناء على طلسم خاص هو (رمق) . فالقاف رمز القوة . والميم رمز المقاومة والراء رمز محور الارتكاز ، ثم إن هذا الطلسم بوضعه هذا يكون مفتاحا لأنواع الروافع

فالنوع الأول يكون فيه محور الارتكاز بين القوة والمقاومة

والنوع الثانى تكون فيه المقاومة بين محور الارتكاز والقوة

والنوع الثالث تكون فيه القوة بين محور الارتكاز والمقاومة

ولهذه الروافع الآلية فوائد عملية للإنسان ، فهى تنفعه فى التغلب على القوى الكبيرة باستعمال قوى صغيرة . وروافع المجتمع أشبه بروافع الطبيعة فى بساطتها وتعقيدها . وليس يخفى أن الحياة الاجتماعية إنما هى تفاعلات مستمرة بين عناصر لاحد لها ولا حصر ، ومن أبرزها عوامل الجغرافيا والتاريخ والدين والاقتصاد والسياسة والأخلاق والعلم والصحة والجنس واللغة

ومن العبث أن نعتبر المجتمع مكونا من أفراد كما نعتبر الجدار مجموعة من قوالب مرصوصة على نحو أو آخر ، ذلك بأن الإنسان شخص لا فرد ، والفرق بين الشخصية والفردية مداره تكامل الجهاز العصبى ، ذلك التكامل الذى يبلغ أقصاه عند الإنسان ، ويتدرج تحته سائر الأحياء فى سلم النشوء والارتقاء ، ولذلك يقال فى البيولوجيا إن الأرنب فرد لأن سلوكه طائفى ، بينما الكلب شخص لأن سلوكه ذاتى . ومعنى ذلك أنه كلما كان سلوك الحى متدرجا فى الرقى مع مرونة الجهاز العصبى ، كانت له شخصيته التى بها يعرف ويمتاز

وليست هذه « الشخصية المنصرية » حجر عثرة فى سبيل « التكامل الاجتماعى » كما يبدو لأول وهلة ، فإن الميول الفطرية العامة من أهم العوامل فى تحقيق هذا التكامل بين الأشتات ، وذلك التقارب بين العناصر . وإنه لمن اليسير أن تتلاقى الأهواء والميول وفاقا لقانون « الجاذبية الاجتماعية » ذلك القانون المستمد من الطبيعة السيكولوجية . والذى يوحى بأن حياة المجتمع أشبه ما تكون بحياة القطيع ، يرى الفرد نفسه منساقا إليه ، مدفوعا معه مثل « خروف بانورج » فى القصة المعروفة

فإذا كانت الغرائز هى تلك القوى الفطرية والأسس الأولى للسلوك ، فإن الميول العامة هى القوى التى ينبنى عليها المجتمع ، وهى لا تظهر بوادرها إلا بوجود الإنسان فى المجال الاجتماعى ، وتلك الميول هى ما يعبر عنها بالإيحاء والمحاكاة والمشاركة الوجدانية

وأقرب مثل لذلك سرادق منصوب ، فيه خطيب متحمس يخطب فى جمهور من الناس مختلفين فى الأفكار والنزعات والأهواء ، ومع ذلك سرعان ما يتفق الجميع على رأى الخطيب عن طريق « الإيحاء » ويساير البعض رأى البعض الآخر فى التصفيق والهتاف عن طريق « المحاكاة » ويتأثر الجميع بانفعالات الخطيب من غضب أو فرح أو حزن عن طريق « المشاركة الوجدانية » ولولا وجود هذا المجتمع ما كان لهذه الميول أن تظهر فى الفرد

بهذا يسهل التقريب بين عناصر المجتمع ، ويتم التكامل الذى به تختزل الصعاب أمام الإصلاح ، ويتبلور الرأى العام ، فيستطيع المشرعون أن يستمدوا منه القوانين الصالحة لأنها تطابق الآمال المشتركة والأهداف العامة

وعلى ضوء هذا كله نتساءل : ماهى روافع المجتمع ؟ أو بعبارة أخرى ما هى العوامل التى ترفع من شأن المجتمع حتى يكون الفرد والمجموع على وفاق تام بالنسبة للمثل العليا فى مراقى الحياة الكريمة . فلا يضطرب الميزان الاجتماعى ؟

أما المجتمع الأول فهو الذى يقوم « العلم » فيه مقام محور الارتكاز فى الرافعة الأولى ، وتكون « الأخلاق » بمثابة القوة ، و « التاريخ القومى » بمثابة المقاومة . ولا شك أنه فى مثل هذا المجتمع تتعادل مخلفات الماضى مع آمال المستقبل ، كما تتعادل الكفتان فى الميزان . ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم الذى يبصر المواطنين بمآثر أسلافهم فيتخذون منها دعامة لصروح المجد الذى ينشدونه ، ولا يدفع المجتمع بعيدا نحو أهدافه غير

خلاق ، فإذا كانت مهمة العلم تنوير العقل ، فإن مهمة الأخلاق نق الضمير ليبغي الخير وينشد الحق

ولهذا يجب أن تكون « الكفالة الأخلاقية » واجبا عاما وم به المسجد والكنيسة والجامعة والمدرسة والمنزل والشارع، لمسرح والسينما والصحافة والإذاعة ، والمقهى والملهى ، الأخلاق في المجتمع قوة رافعة دافعة ، مما يتحتم معه على هذه ـدائر أن تتولى أمرها جميعا ، فلا تختص بها هذه دون تلك ، المجتمع وحده أن يحكم لأيها يكون الفضل في تنقية الضمائر ، رقية الغرائز ، وتملية النوازع

والمجتمع الرفيع هو الذي يدرك المالى من أقرب طريق أبسط جهد ، ومن أجل هذا اخترنا له هذا النوع من الروافع لاجتماعية إذ تتكافأ القوة مع المقاومة ويتسابق إلى القمة تراث لأمس وهدف الغد على غير نفرة بينهما أو شذوذ ؛ إذ هما أشبه ضلعين متساويين في مثلث متساوى الأضلاع ، قاعدته الثابتة العلم لراسخ بحقائق الأمور

ولا يخفى أن البعد أو القرب من محور الارتكاز يرجع إلى مقدار تكافؤ القوة والمقاومة ، وتبعا لذلك تكون رسالة العلم سريعة لأداء إذا توافرت الذخيرة الأخلاقية ، وتعددت القوى والأثقال، وعندئذ فقط تستجيب المقومات الحضارية ، وتضطر إلى المعادلة، وإلا اضطرب الميزان ، واختلت روافع المجتمع ، وشالت كفة ورجحت أخرى

والمجتمع الذي من هذا النوع يشبه « الكماشة » لأن محور ارتكازه « العدل » الذي يوطد أركانه قوة مطلقة من « القانون » وهنا فقط نستطيع التغلب على « الجريمة » التي لن تفلت من فكي الكماشة ما دامت عين القانون ساهرة ، وقادرة على التوغل في كل وكر فتسلط أنوارها الكشافة على جسم الجريمة بصرف النظر عن المجرم مهما تكن قرابته أو عصابته أو مكانته ، بل الكل سواء بلا تفريق

والمجتمع الثاني هو الذي تكتمل فيه عناصر الرافعة الثانية ، فتكون المقاومة بين محور الارتكاز والقوة ، كما في « كسارة البندق » حيث ترتكز على مفصلها ، وتوضع البندقة قريبا من المحور ، وتضغط اليد على أقصى الطرفين لتحاول كسر البندقة التي تقاوم حسب استعدادها ، وتبعا للضغوط المتتالية عليها

وفي رافعة هذا المجتمع يكون « الاتحاد » قوة و « السياسة » مقاومة ، ومحور ارتكازهما هو « الاستقلال » فإذا ارتكز المجتمع على الاستقلال التام استطاع أن يقاوم مقومات تقدمه ، وأن يفك الأغلال والأصفاد التي تحول بينه وبين الانطلاق ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتضافر الأفراد واتحادهم جميعا كأصابع اليد الواحدة في قبضتها على يد الكسارة ، وعندئذ لا يكون لإصبع حق في ادعاء الظفر ، وإنما الفضل للوحدة المتصلة لا للفرقة المنفصلة

وعوامل الاتحاد في المجتمع الرفيع ميسورة لا تستعصى على الإمكان . أليس الدين يدعو إلى وحدانية الله واتحاد العباد ووحدة القبلة ؟ أليس العلم في مجمله ومفصله يفترض العقل الذي هو أعدل الأشياء توزعا بين الناس ؟ .. أليست الحقيقة متمثلة في حاصل جمع عددين أو باقي طرحهما، وإنه إذن لصواب أو خطأ، ولا مجال لجدال

والاستقلال في ذاته رفعة ، وبالنسبة للجهاد وسيلة رافعة ، لأن الفرد المستقل هو المجتمع المستقل عاجلا أو آجلا ، ولن يكون ذلك إلا بكشف الأغطية عن العقل المفكر ، ورفع الكمائم عن الأنفاس الحـــــرة ، وطرح المخدرات المقوتة عن الأنوف الشامخة ، بعيدا بعيدا ، والحذر من المسكنات التي لا يقصد منها غير الاستهلاك المحلي . ولابد من الارتكاز على الاستقلال في قوة واتحاد لإخماد التعصب والتحزب ، وإحباط التعالى على الغير وازدراء أقدار الرجال إلى غير ذلك مما يقوم مقام البندقة من الكسارة ولا يعلم صلاحها أو فسادها إلا بالكسر

ومكافحة المومقات السياسية من أيسر اليسر ، فليس أقل من التفرقة بين السياسة والاستقلال ، والفصل بين الوطنية والحزبية، لهذا كان طول ذراع القوة مؤذنا بأن قليلا من القليل يكفى لكسر البندقة التي قد يغرى قربها من محور الارتكاز باحتقار شأنها ، في حين أن قصر ذراعها يستلزم الضغط ، وهو إن بدا

من بعيد غير شديد إلا أنه كفيل بتفتيت قنبلة ذرية ، وليت الناس يعلمون حق العلم قانون الروافع الاجتماعية ، إذن ما ضلوا سواء السبيل ، ولا تكلفوا الشطط مع بعضهم بعضا ، ولا كلفوا أنفسهم وأوطانهم مشقة الاحتيال على المشاكل الملفقة بينهم وبين أعدائهم وخصومهم

وهذا المجتمع يشبه « عربة الكناس » وقد امتلأت بالأقذار ، وهو يدفعها أمامه ، رمى تندفع على عجلة من حديد، وتميل ذات اليمين وذات الشمال ، وهو من هزاله يميل معها كما تميل ، ويحاول أن يقاوم هذه القذارة الثقيلة ، ولكنه مرغم على احتمال المكروه في سبيل الجلاء ، الجلاء التام

ذلك هو شأن المجتمع الهزيل النحيل الذي يكافح الاستعمار والحماية والاحتلال ، ويرتكز على عجلة الزمن : تدور فتطوى الطريق ، وهو وراءها ليس له أن يسبقها أو يدعها تكر بين يديه من غير دفع مستمر

ياله من كناس يقبض بيديه على نعش العدو ، يشيعه إلى خارج البلد إلى غير رجعة ، والأيام تطاوعه ، فلا ينبغى له أن يستعجل الجلاء ، ففي العجلة الندامة ، وحسبه أن عجلة الظلم لا تدور مع الأيام ، فليعتمد على ضعفه ليكون هو القوة .. إن ذلك من عزم الأمور

إن المقاومة القذرة ، والبطش الكافر ،والاستبداد العنيف ، كل ذلك مطرود من كل بيت ، ملفوظ من كل كوخ ، ولا يستقيم مع نظافة العيش ، وسلامة الطريق . ويالينا نتفهم فلسفة هذا الكناس الذي عرف كيف يبدأ وأين ينتهى ، لم يتكل على أن القذارة ستزول من بيته ما بين طرفة عين وانتباهتها ، بل نهض وشمر عن ساعد الفقر والجهل والمرض ، لينعم بالغنى والعلم والصحة .. إنها حركة وفيها بركة ، إنها كاسحة نازحة ، وعما قريب تكون الفاتحة ، والمجتمع المرفوع هو الذي خيره لا مقطوع ولا ممنوع ، وشر عدوه دائما مقلوع لا مزروع .

الزمن محور ارتكاز ، وإن طالت الآماد بين حلو الشهاد وخرط القتاد ، على أن الصبر معروف مألوف . فالظلم والعدوان سينقلبان أسوأ منقلب ، وبعدها الحرية التي لاحدود لها ، والنظافة التي لا بعدها ، ومن ذا الذي لا يود أن يغدو ثقيلا ليروح خفيفا ، أو أن يكافح عدوه ليمود سيد نفسه ، أو أن تكرهه الأيام على جر العربات ، لتكون له وحده الثمرات

أما المجتمع الثالث المرفوع ، فما أشبهه « بلاقطة الجر » ، ولن يستغنى المجتمع عن هذه الرافعة في التقاط كل جرة متقدة من العلوم والفنون ، وكل ألوان الحضارة ، ولا يكون ذلك إلا بالارتكاز على « الحرية » في الأخذ والعطاء ، بحيث لا نأخذ بالجبر ، ولا نعطى بالقهر ، ولن تكون الحرية مكفولة إذا فتحت الأسواق لكل بضاعة من غير تدخل يراد منه الصيد في الماء العكر ، لكساد بضاعة صالحة ، والترويج لأخرى فاسدة،وليكن قانون الجميع « البقاء للأصلح »

هذه الحرية لابد منها في تبادل النفع المشترك بين الشعوب الراغبة في السلام ، الساعية في الخير ، ومع هذا فإن « الشر » سيقاوم هذه الغاية النبيلة ، ولن يكون عنصرا فعالا في المقاومة إلا إذا طال واستطال ، وأدمن في المطل ، كما تقاضته الإنسانية ضريبة الحياة ، والشر قوة لا محالة ، ولكن سرعان ما يمحى في ظلال الحرية ، وعلى جرات العلوم والمعارف

مجتمع هذه رافعته جدير بأن يكون أفراده يدا واحدة،تقاوم الرذائل والشرور بل تبطش بها البطشة الكبرى حتى لا يضار بها المجتمع . ولعمرى لئن كانت هذه اليد بمثابة القاومة في الرافعة فإن محور الارتكاز اللازم هنا إنما يكون الدين المتين ، الدين الذي يمتد سلطانه المشروع إلى كل مرفق من مرافق الحياة الملفقة بيد الله ، وعندئذ تكون «الأمانة العامة» هي القوة الدافعة للمغريات حينما تتكاثر وتتثاقل على اليد البيضاء بالرشوة والسرقة والاحتكار والاستغلال،فتدفعها عنها في إباء وترفع يرتفع بهما المجتمع بأفراده إلى المثل العليا

هذه هي روافع المجتمع ، فلينتظر كل فرد أين هو من هذه المجتمعات ، وعليه أن يرتفع بالتدريج إلى المقام الرفيع الذي يكون فيه المجتمع وأفراده متكافئين في الميزان . وذلك هو الهدف الذي لا مطمح بعده من رفعة ، ولا حاجة وراءه من روافع

محمد محمود زيتون

خليل شيبوب

في ذمة الله!

للأستاذ منصور جاب الله

في مطالع عام ١٩٢١ كان المغفور له أحمد شوقي بك في الإسكندرية يتردد على «بنك الأراضي» بغية شراء أرض زراعية؛ وإذ أدخلوه القاعة التي يجلس فيها «رئيس قلم العقود»، بصر به شاباً قسيماً وسيماً قد انهمك في تصحيح تجارب مطبعية، وذهل عن كل ما حوله، فسأله أمير الشعراء عما يفعل، فأجاب بأنه يصحح «بروفات» ديوان شعره. ودهش شوقي بك وسأله:

— أأنت شاعر؟

— لست شاعراً ولكنني أنظم الشعر أحياناً!

— هل لي أن أتشرف باسمك؟

— اسمي خليل شيبوب

— ومن كتب مقدمة ديوانك؟

— كتبها خليل مطران

— وتعرف مطراناً؟

— نعم أعرفه ويزورني في منزلي في بعض الأحيان

بهذه المحاورة نشأت صداقة خليل شيبوب لأمير الشعراء، وعرض عليه شوقي بك أن يكتب له مقدمة لديوانه تضاف إلى مقدمة شاعر القطرين، وإذ ذاك استطار «الشيبوب» فرحاً وقبل العرض شاكراً، وإذ كان الكتاب قد تم طبعه، فإن المقدمة ألصقت به إلصاقاً. ومما نذكره منها الساعة قوله:

شيبوب ديوانك باكورة
وفجرك الأول نور السبيل

ويعني بالفجر الأول اسم الديوان، فكذلك رأى خليل أن يسمي ديوانه رمزاً إلى شبابه الأول وغضارة العمر. وليس في قصيدة شوقي هذه جيد يذكر اللهم إلا قوله في الشعر عامة:

ما فيه عصري ولا دارس
الدهر عمر للقريض الأصيل

ومنذ بضعة أعوام أقام السوريون واللبنانيون في الإسكندرية حفلاً لتكريم المغفور له خليل مطران بك كان خطيبه الأول خليل شيبوب، وإذ قارب الحفل نهايته وقف خليل مطران وبايع لخليل شيبوب بخلافة الشعر من بعده، واعتز شيبوب بهذه «البيعة» لأنه كان يجل «المطران» ويجعل من نفسه حوارياً من حوارييه.

وغاب عن مطران أن الأدب لا يورث، وليس فيه خلف ولا سلف. والحق أن «الشيبوب» كان أشعر في بابه من مطران، وإنما سبقه المطران إلى الشهرة لأن الذين في أيديهم أمور النشر والإذاعة رأوا أن يجعلوا منه ثالثاً لشوقي وحافظ. ولسنا نحب أن نناقش حجية هذا الرأي فنحن بصدد الكلام في خليل شيبوب ومذهبه في الشعر والأدب جميعاً

والحق أن شيبوباً كان يتمذهب بمذهب خليل مطران في الشعر الوصفي أو الرمزي، فهو شاعر وصاف، والشاعر الوصاف ينزع أكثر ما ينزع إلى الناحية المادية، بيد أن شعر شيبوب في هذا المنحى أقوى من شعر مطران، فيه قوة نفتقدها في قريض شاعر القطرين وعاطفة مشبوبة قل أن نعثر عليها في قصائد الوصافين من الشعراء المحدثين. ثم إن شيبوباً هو الذي يقول:

ليس بجسمي قطرة من دم
لم تختبر حباً ولا تعشق

على أن خليلاً لم يفرغ للشعر مرة واحدة وإنما جعله هواية له في أوقات الفراغ أو في بعضها على الأصح فهو قارئ من الطراز الأول. أشهد أني ما رأيته إلا وفي يده كتاب يطالعه، أو يريد أن يطالعه، وتلك هوايته المفضلة في تزجية الوقت الثقيل

ولكن صديقنا خليل شيبوب يروي لنا أنه أسرف على نفسه في شبابه الأول أو في فجره الأول، غير أننا لم نلحظ هذا الإسراف في مظهره، فالشيب لم يسلك سبيله إلى مفرقه حتى بعد أن ذرف على الستين أو جاوزها، بل بقي شعره فاحم السواد، حتى كنا نحن صدقانه الخلصاء نداعبه ونمانيه قائلين له إنه من «النظرين» الذين لا يموتون حتى يوم القيامة!

وكان الأستاذ شيبوب سوري الأصل ولد في اللاذقية موطن أبي العلاء، ولكن هواه إنما كان مصروفاً إلى لبنان لا إلى

سوريا ، ديدنه فى ذلك ديدن النصارى من أهل الشام

وأمل أحداً ممن نعموا بعشرة خليل شيبوب لا يصبح أو يمسى إلا ذا كراً طيب خلاله وجميل شمائله وحلو دعاباته ومتارفه البهيجة ، فقد اعتاد أن يدعو أصفياءه إلى سهرات رائقة ومآدب مونقة ، يتبادلون فيها إلى جانب الطعام الشهى والشراب الروى مستعذب الأفاكيه ومستغرب النوادر ، ويتطارحون أبرع ألوان القريض

وفى غضون الحرب المنقضية ضاق « الخليل » ذرعا بظلام الإسكندرية وغاراتها المتوالية ، فغادرها إلى أطراف المدينة « وفى الأطراف تغشى منازل الكرماء » حيث أقام لنفسه مغنى فى صحراء سيدى بشر ، وهنالك بين المهامه البيد والتنائف الفيح ، كان ينعقد مجلس الشعر ، أو مجلس البحر كما سماه فيما بعد ، وتدور على الحاضرين كؤوس الطلا مترعة ، ويتساقون ألوانا من أدب شيبوب وكرم شيبوب

وأذكر أنى زرته مرة فى مغناه هذا ، فهتف بى : هلم بنا يا أخى نتحرر من قيود المدينة وأصفاد المدنية ، هيا بنا إلى البادية الشاسعة نعش على الفطرة كآدم الأول

وانطلقنا معا نضرب فى هاتيك التلال الرملية ، وجمعنا حطباً أضرمنا فيه النار ، ثم صنعنا شراب الشاهى السائغ ، وأنشأنا نتذوقه رشفة بعد رشفة كما يفعل الأعراب المحيطون بنا فى ذياك المكان البعيد

ولقد سمعنا قبل أيام أديبا كبيرا يقول : إن خليل شيبوب كان بقية « اليازجية » الذين ملأوا ربوع الشام فضلا وأدبا وعلما ، أو أنه كان امتداداً لهم وإن لم يكن من سلالتهم . ولقد نبالغ نحن فنقول إن الخليل كان آخر من يستحق لقب « أديب » من طائفة الذين هبطوا الإسكندرية واتخذوها مستقرا ومقاما . فليس فيهم — مع الأسف — الآن كاتب بارز ولا شاعر مبين

ولقد تحدثنا فيما أنف عن شعر خليل شيبوب فى إيجاز شديد ولا بأس من أن نورد فيما يلى نماذج من شعره [1] فهو يصبو إلى الإسكندرية ويرسل فيها هذا اللحن العذب :

هواك بصدرى حادث وقديم وعهدك عهدى راحل ومقيم

وأنت كما شاء الجمال حبيبه
وأم كما شاء الحنان رءوم
فلو نطقت فيك الحجارة حدثت
عن المجد مرفوع اللواء عظيم

وله قصيدة عنوانها « صوت الرجاء » يقول فيها :

السقم يأكل من عزمى ومن جلدى
والحب يأكل من روحى ومن كبدى
لذا فزعت إلى الكاسات أشربها
صرفاً وتشرب من عقلى ومن رشدى
أشكو إلى الخمر همى وهى تسلبنى
عقلى مخافة أن أشكو إلى أحد

ومن قوله فى مصر :

هى مصر فاتنة العصور عجيبة
تقدمت الدنيا الورى فتقدموا ؟
خطت لأثينا وروما منهجا
مشتا عليه فكان فيه المغنم

ويبين نثره أكثر ما يبين فى كتابه عن « الجبرتى » إذ توفر الخليل على دراسة العصر المملوكى وألم بكثير من دقائقه . وقال بعض المتأدبين إنه كان ناثراً أكثر منه شاعراً . والحق أنه كان مقلا فى شعره متأنقا فى نثره

° ° °

ولقد كان الأستاذ خليل شيبوب يحيى مستهل هذا العام فى بيته بحفل بهيج كما اعتاد أن يفعل كل عام ، ولكن المرض ضربه فجأة ، وأصابته ذبحة صدرية حادة ، ثم تحول المرض إلى شلل ، ففقد النطق ، وساءت حالته ، وتعلقنا نحن الخلصاء من أصدقائه ومريديه بين اليأس والرجاء ، حتى إذا غربت شمس يوم السبت الثالث من فبراير الحالى غربت معها شمسه وفاضت نفسه ، ففاض بنا الجزع من أجل هذا الأديب الكبير الذى فقدناه وهيهات أن نجد له بديلا

عوض الله فيه دولة الأدب والشعر ، فقد كان خليل شيبوب أمة من الشعر والأدب

منصور جاب الله

(١) افتقدنا ديوان خليل شيبوب ساعة تحرير هذه العجالة . وما نشر فى غضون المقال إنما هو نثار مما وعته الذاكرة .

المكتبة العـــــربية
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ١ —

إن الدارس للحركة العقلية بمصر والشام فى عصر الحروب الصليبية ، يبهره كثرة الإنتاج فى فروع الثقـافة المختلفة ، ويرى أن البلاد لم تعش على ما وفد إليها من كتب ألفت فى غير أرضها ، بل ساهمت مساهمة كبيرة فى النشاط العلمى والأدبى ، ولا نزال إلى اليوم نعيش على بعض آثار ذلك العصر ، ونمتز عاله من ثمار

وقد تنوع الإنتاج يومئذ تنوعا يدل على حركة علمية ناشطة ، وحمل لواء هذه الحركة أعلام نابغون ؛ فمن فقهاء على المذاهب الأربعة إلى نحاة ، ولغويين ، وعروضيين ، ومحدثين ، ومفسرين ، ومقرئين ، ومتكلمين ، ورجال أدب ، وبلاغة ، ومؤرخين وجغرافيين ، وعلماء بعلوم الأوائل من منطق وفلسفة وسياسة ، وعلوم رياضية ، ولم يخل العصر من فلكيين ومنجمين

وساعد على ازدهار حركة الإنتاج ما كان يستطيع أن يصل إليه العلماء فى الدولة من أسمى المناصب ، ومالهم عند الشعب من إجلال وتقدير ، وما يظفرون به عند الخلفاء والسلاطين من تشجيع وتقريب

وكان حكام ذلك العصر مثقفين ثقافة ممتازة ، ويحيطون أنفسهم بطبقة مصطفاة من المثقفين ، ويغدقون عليهم ، وللفاطميين من ذلك نصيب كبير : يروى أن المهـــذب بن النقاش لما وصل إلى الشام من بغداد ، وكان فاضلا فى صناعة الطب ، أقام بدمشق مدة ، ولم يحصل له بها ما يقوم بكفايته ، وسمع بالديار المصرية ، وإنعام الخلفاء فيها وكرمهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ، ولا سيما أرباب العلم والفضل ، فتاقت نفسه إلى السفر ، وتوجهت أمانيه إلى مصر ، فوجد فيها ما كان يرجوه (١) ، وشهر من

(١) عيون الأنباء ج ٢ ص ١٠٦

وزرائهم بحب العلم وتقريب العلماء وتشجيعهم الوزير الأفضل ابن بدر الجمالى

أما نور الدين محمود فقد كان يحب العلماء ويحتفى بكبارهم ويسكنهم الشام ، ويبنى لهم المدارس ، ويغدق عليهم الرتبات ، ويكاتبهم بخط يده (١) . واقتدى به صلاح الدين فى تشجيع العلماء وتقريبهم ، حتى إن عبد اللطيف البغدادى عندما دخل دمشق وجد فيها من أعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الإحسان الصلاحى جمعا كبيرا ، (٢) وكان مجلس صلاح الدين حافلا بأهل العلم ، يتذاكرون فى صنوف العلوم ، وهو يحسن الاستماع والمشاركة حتى صار لكثرة مخالطته للعلماء وأخذه عنهم كأنه من كبار الفقهاء يضرب فى كل علم من علوم الدين بالسهم الصائب مع امتيازه فى معرفة التاريخ (٣) ، وولى بعده العرش فى مصر ابنه العزيز عثمان ، وهو مثقف ، سمع الحديث بالإسكندرية من الحافظ السلفى ، والفقيه أبى الطاهر بن عوف الزهرى . وسمع بمصر من العلامة ابن برى النحوى اللغوى (٤) ، وهو الذى رحب بمقدم عبد اللطيف البغدادى إلى مصر ، وأجرى عليه من بيت المال ما يزيد على كفايته (٥) واستقدم الحسن بن الخطير من القدس ، وأغدق عليه حتى أغناه (٦)

فلما جاء العادل ساهم وإن كانت مساهمة قليلة فى النهضة الفكرية ، فأنشأ بمصر مدرسة للمالكية ، وذلك لانصرافه إلى الحياة السياسية ، وتثبيت دعائم العرش له ولبنيه ، ولكن أبناءه كانوا أكرم الأبناء : نهوضا بالعلم ، وأخذا منه بأوفى نصيب ، وتشجيعا على الاغتراف من مناهله ، ورفعا لقواعد معاهده ، فكان الكامل يحب أهل العلم ويؤثر مجالستهم ، ويشغف بسماع الحديث النبوى وقد بنى له دار الحديث الكاملية بالقاهرة ، وكان يناظر العلماء ، وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو ، يمتحن بها ، فمن أجاب عنها قدمه وحظى عنده ، ويبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم بجانب سريره ليسامروه ، فنفقت العلوم والآداب

(١) الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٨٢ (٢) عيون الأنباء ج ٢ ص ٢٠٤ (٣) الاسلام والحضارة العربية لكردعلى ج ٢ ص ٢٩٢ (٤) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥ ؛ (٥) عيون الأنباء ج ٢ ص ٢٠٧ (٦) معجم الأدباء ج ٨ ص ١٠٠

عنده ، وقصده أرباب الفضائل ، فكان يطلق لمن يأتيه منهم الأرزاق الوافرة الدارة ، ويجلس كل ليلة جمعة مجلساً لأهل العلم ، ويشترك فى المناقشات التى تجرى فيه .(١)

أما المعظم عيسى بالشام فكان مأمون بنى أيوب، شجع العلماء وأكرم وفادتهم ، وشاركهم فى التأليف ، وكذلك كان ابنه الناصر داود

واقتدى المماليك بأساتذتهم الأيوبيين ، وكانوا هم يزودون بالثقافات التى تؤهلهم للوصول إلى مناصبهم ، وشهر من بينهم فى ذلك العصر الظاهر بيبرس فقد أخذ يقرب إليه النابغين فى كل علم وفن ، وكان يميل إلى التاريخ وأهله ميلا شديداً ويقول: سماع التاريخ أعظم من التجارب (٢)

أما خليل بن قلاوون فكان مثقفا ثقافة أدبية ممتازة استطاع بها أن ينقد ما يعرض عليه من المراسيم وأن يصلحها ، ويطارح الأدباء بذهن رائق وذكاء مفرط (٣)

— ٢ —

وانتشرت دور العلم فى ذلك العصر : فكان الجامع الأزهر أيام الفاطميين موطن دراسة الفقه الشيعى والمذهب الإسماعيلى ، ونهضت دار الحكمة بالعلوم الفلسفية وربما كانت هذه العلوم تدرس بالأزهر كذلك ؛ فقد كان الدعاة وهم أساتذة دار الحكمة يجلسون للتدريس فى الجامع الأزهر أحيانا كثيرة ؛ ولعل مذهب أهل السنة قد وجد سبيله إلى الأزهر فى الأوقات التى ضعفت فيها حدة الدعوة الإسماعيلية كما فى عهد الأفضل والعادل بن السلار

وإذا كان صلاح الدين قد أبطل الخطبة فى الجامع الأزهر ، وقضى على تدريس المذهب الشيعى فيه ، فإن التدريس لم ينقطع منه ، وها هوذا عبد اللطيف البغدادى يأتى إليه فى عصر العادل ، ويتردد عليه عشر سنين مستمعاً إلى الأساتذة والمحاضرين حيناً ، وقائماً بتدريس الطب والفلسفة والمنطق طرفى النهار حيناً آخر . وعاد الأزهر إلى نشاطه فى عهد بيبرس ومن جاء بعده

وإلى جانب الأزهر كان جامع عمرو ينهض بعبئه فى نشر الثقافة وإذاعتها ، فتعددت به حلقات العلم فى مختلف فروع الثقافة ، وكان له من الأثر فيها أكبر مما للأزهر ، لأن أحداً لم يحاربه ؛ كما قامت بعض المساجد فى أرجاء البلاد بنصيبها من النهضة الثقافية

وفى الشام كان الجامع الأموى بدمشق يؤدى الرسالة التى يقوم بها جامع عمرو فى القاهرة ، وكانت دمشق أبعد من أن تنالها آمال الصليبيين ، فظلت الحركة العلمية ناشطة بجامعها العتيد، ونهض جامع حلب بنصيب فى نشر الثقافة أيضاً

وشاهد ذلك العصر بناء المدارس وانتشارها فى مصر والشام ، فأنشئت بالإسكندرية فى عصر الفاطميين مدرستان فى عهد الحافظ واحدة ، وفى عهد الظافر لدين الله أخرى . وفى الشام أخذ نور الدين ينشئ المدارس ويستدعى نوابغ العلماء من الأقطار يبنى لهم المدارس فى أرجاء إمارته ، حتى إذا جاء صلاح الدين تأثر خطا سلفه ، فأنشأ كثيراً من المدارس فى أرجاء إمبراطوريته بمصر والشام ؛ فمن ذلك الصلاحية بالقاهرة للشافعية ولعلها كانت أكبر مدرسة فى عصرها ، والقمحية للمالكية ، والسيوفية للحنفية، والصلاحية بالقدس، وقد أحصى فقهاء مدارس دمشق فى عهده ، فكانوا ستمائة فقيه

واقتدى بصلاح الدين خلفاؤه من الأيوبيين ، ومن جاء بعدهم من سلاطين المماليك ،وساهم أمراء الأسرة المالكة وأميراتها وأمراء الدولة فى إنشاء المدارس بمصر والشام كتقى الدين عمر الذى اشترى منازل العز أحد قصور الفاطميين بالقاهرة ووقفه مدرسة كما بنى بالفيوم مدرستين عندما كانت الفيوم إقطاعا له ، وبنى فى الشام التقوية بدمشق ، والمظفرية بحماة

وأخذ بعض الوزراء بنصيبهم فى إشادة دور العلم كما أسس القاضى الفاضل مدرسته الفاضلية وكانت من أعظم مدارس مصر وبنى المثرون من الملمين وغيرهم مدارس وقفوا عليها أملاكا تكفى للانفاق عليها

وهكذا حفل هذا العصر بإنشاء المدارس فى أرجاء البلاد ، فإنه لم يقف إنشاؤها عند العواصم فحسب ، بل تعدتها إلى غيرها، فرأيناها تقام بالقاهرة والإسكندرية وقوص وإسنا وأسوان وأسيوط والفيوم ؛ وفى دمشق وحلب والقدس وحمص وبعلبك ،

«١» السلوك جـ ١ ص ٢٥٨ وخطط المقريزى جـ ٤ ص ٢١٥ ولين بول ص ٢٣٠

«٢» النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٨٢

«٣» السلوك جـ ١ ص ٧٩١

ومضات من الحجاز

للأستاذ حمدي الحسيني

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلوات الله عليه والعرب سادرون في مهاوي الضلال، مهددون بالفناء والاضمحلال، غرائز النضال والغلبة في نفوسهم هامدة خامدة، ورغباتهم في الحرية والاستقلال مكبوتة محتجزة. فدعاهم رسول الله إلى الهدى ودفعهم إلى العزة والكرامة، وأمرهم بالنضال في سبيل الحرية والاستقلال، فوقعت المعركة الكبرى بين الحياة والموت، فعبأ رسول الله كل جزء حي من الأمة لمقاومة الموت، وساق كل أنواع القوة لدفع الفناء، وكان الشعر القوي في هذه المعركة المقدسة سيفاً من السيوف المشهرة في وجوه المشركين، وقد عمل هذا السيف ما عمله الحسام في أيدي الأبطال في ميادين القتال. وظل شعر القوة كذلك في الحجاز حتى تصدعت الوحدة العربية وتضعضعت القوة الإسلامية، وانتقل الحكم الإسلامي من الحجاز إلى الشام، ومن بغداد إلى الآستانة، فأقفر الحجاز من القوة ومن شعر القوة، ومن الحياة ومن شعر الحياة حتى أصبح:

كقفر أفاء الموت فيه ظلاله ... فأوحش حتى ما نصر جنادبه

وظل كذلك حتى أعلن الدستور العثماني فأخذ يتحرك تحركاً بطيئاً ويتمايل للنهوض عاثلا ضعيفاً إلى أن شبت نار الثورة العربية فيه، فأصبح الحجاز علماً في رأسه نار، ترنو إليه عيون العرب، وتتوافد إليه رجال الأدب، فأوجد هذا الاحتكاك حياة في الحجاز وحركة أخذت تنمو وتتسع حتى رأينا في صميمها حركة أدبية فنية نشيطة تندفع نحو النور وتتواثب نحو الحياة والحرية بقوة لا تلبث أن تصبح كافية لتحقيق الغاية والوصول إلى الهدف إن شاء الله. وإليكم الطلائع التي تطمئن لها نفوس العرب على أعز قطر من أقطار العرب

السيد أحمد ابراهيم الغزاوي: ولد بمكة وتلقى علومه فيها ثم اشتغل بالوظائف في حكومة الملك حسين ثم في الحكومة الحاضرة وقد حاز لقب شاعر الملك عبد العزيز آل سعود المعظم. نظم قصيدة بمناسبة الحلف العربي الذي تم بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بعد تلك الحرب الطاحنة التي جرت بين القطرين الشقيقين منذ ست عشرة سنة. وفي القصيدة ألم لما وقع بين المملكتين العربيتين من خصام وامتشاق حسام، وفيها رضى عن النتيجة التي انجلى عنها ذلك الخصام وهي الحلف بين المملكتين. وقد أعجبنا في القصيدة روح الإخاء والمودة التي تقام عليها الوحدة العربية بين العرب؛ فترى الشاعر بعد أن يشيد بقوة ابن السعود العسكرية ويعتز بها يقول:

أفأنا إلى صلح عهد بعدما ... أفاء بنو أعمامنا للأوامر
وتلك التي لولا المنايا تقدمت ... فأنعم بهم من كل باد وحاضر
هم الجيرة الأدنون واللحمة التي ... لها الحسب الوضاح عرف الأزاهر
وهم دمنا الغالي وأعصاب مجدنا ... وأعضاؤنا في كل ماض وحاضر
فقل لذوي الأحقاد هذا نتاجكم ... فهل كان إلا غصة في الحناجر
سعيتم فأخفقتم وبؤتم بإثمكم ... وبؤنا بحلف كامتزاج العناصر

واسمعه الآن يخاطب الشرق العربي:

يا شرق حسبك ما لقيت من عنت ... أفق فبابك بعد اليوم مقتحم
شمر ذيولك وانهض لا تكن خولا ... ولا يصدك عن درك العلا هم
وواصل السعي في التعليم مقتبسا ... خير الفنون وإلا مضك الألم
وارهف عزائم من أبنائك اتكأوا ... على الأرائك يعلو فوقها القتم

السيد أحمد قنديل: ولد بجدة وتعلم في مدارسها ثم اشتغل

« للكلام صلة »

ولكن أكثر المدارس يومئذ كان بالقاهرة ودمشق، وقد بقي من أسماء المدارس التي عرفتها القاهرة يومئذ أكثر من أربعين مدرسة، ومما عرفته دمشق زهاء تسعين

وقد تنوعت المدارس في هذا العصر، فكان منها معاهد لتدريس الحديث خاصة، وأخرى لتدريس الفقه، وبعضها للنحو. وأنشئت في القاهرة ودمشق وحلب مدارس خاصة بالطب، كما كان يدرس منهج الطب إلى جانب المواد الأخرى في بعض المدارس، وكان معنى التخصص أن المادة الأساسية فيها هي الفقه مثلا، أما المواد الأخرى فكانت تدرس إلى جانب هذه المادة الأساسية

أحمد بدوي

فيهـا بالتعليم والصحافة ، وهو شاعر من شعراء القوة يدعو إلى الانطلاق من قيود الخضوع للقديم البالى وينادى بالحرية والنظام

جاهر برأيك فى الحياة ولا تخف   غرا تذرع بالسفاهة أو حسود
وانهج إلى المثل الشريف فحبذا   المثل الشريف وحبذا الشرف المتيد
واسلك سبيلك كيفما تختاره   مادمت مصطحبا به الرأى السديد
فإذا سلمت به فأنت موفق   وإذا عثرت فمن عثارك تستفيد
والفوز فى شتى المواقف حافز   للمرء داعيه إلى شرف المزيد

واسمعه الآن يخاطب الشعب هذا الخطاب الرصين الخالى من المنجهية والفطرسة :

لسنا من المجد فى أعلى منارته   أو فى الطريق قطعنا منه ماعظما
لكنما نحن شعب يرتجى أملا   ضخما أرق أمانى الشعب ماضخما
ومن رجا وسعى فى الجد متشحا   بالصبر مدرعاً نال المنى نعما

السيد حسين سراج : ولد بالطائف وتلق علومه الابتدائية بمكة ثم رحل إلى شرق الأردن حيث أخذ علومه الثانوية ثم التحق بالجامعة الأمريكية فى بيروت ؛ وهو شاعر من شعراء الحجاز الناهضين للكفاح فى سبيل الحياة ، اسمعه يخاطب الشباب :

يا شباب البلاد كونوا جميعا   إخوة عصبة جهاراً وسرا
ثابروا فى جهادكم وأعدوا   خلقا باسلا وعزماً وصبرا
حققوا الظن فالأمانى سبيل   من يغامر أتته طوعاً وقهرا
يا شبابا عليه تبنى الأمانى   أشحذ العزم فالمصائب تترى
واصل السير فالحياة نضال   تبتغى قوة وحزما وخبرا

السيد عبد الوهاب آشى: ولد بمكة وتعلم فيها ؛ ثم اشتغل فيها بالتعليم والصحافة وقد اعتقل على أثر حادثة ابن رفادة ، ونفى إلى نجد وهو من شعراء الحجاز الذين يحملون روحاً قوية وثابة

ويح الجبان إذا استطا   ر لهيب قاصمة الظهور
يدع الديار بلاقعاً   والحر فى قيد الأسير
والموت خير للفتى   تحت المناصل والقتير
من ذلة تدع الأبى   مطية الصف المرير

واسمعه يخاطب رفيقاً له :

فانتض العزم وامتط الجد والبس   مطرف البأس كى تجوس الخنادق
إن فى هــذه الحياة مجالا   لمريد الحياة جم الطرائق
جولة ثم جولة يتجلى   لك فى ذا الجهاد صدق الأسارق
لك منى الثبات يوم تمد   العزم للكد فى مجال البوائق
نقصد الجد لا الونى ينقض المهد ولا العاديات تفرى المواثق
إن سبق المزوم إذ يتصدى   للملا دونه تقذى السوابق
كل شئ وإن تسامى منالا   هين إن عنى الهمام السابق

وخذ هذين البيتين القويين من قصيدة قوية للسيد عبد الله عمربا الخير أحد شعراء الحجاز :

الملك يخطب بالصوارم والقنا   لا الكتب تخطبه ولا الأقلام
والحق يعطى للقوى ومن يكن   غراً فإن الفاتكين قيام

حمدى الحسينى

من رجال الفكر في تركيا :

فؤاد كوبريلي (1)

للأستاذ عطا الله طرزي باشي

تحدثت إلى القراء في عدد مضى من الرسالة (2) عن المفكر التركي الكبير ضياء كوك آلب وعن أثره العظيم في تنشئة جيل يفهم للقومية معنى صالحاً، ويقيم للانسانية وزناً عادلا

وأعود إليهم اليوم لأحدثهم عن أحد تلامذته المعروفين في الأوساط العلمية العالمية ، وأعني به العلامة فؤاد كوبريلي الذي سطع نجمه في تلك الأوساط بما أسداه من خدمات جليلة في رفع شأن الأدب الشرقي؛ وإلباسه تاريخ التصوف ثوباً قشيباً من نسج الحقيقة ؛ فنال بذلك استحسان الأندية الثقافية وكوفئ بشهاداتها العالية وأوسمتها البهية الغالية التي لم يفز بها أحد من علماء الترك قبله ، فاستحق من جانب الحكومة التركية كل إعجاب وتقدير ، حتى ضمته الأمة إلى صدرها فكان كوبريلي من بين الثلاثة (3) الذين أسسوا الحزب الديمقراطي في تركيا (4) وذلك في سنة ١٩٤٦ . فهو اليوم بلا شك قطب من أقطاب السياسة الذين يديرون دفة الحكم في تركيا

ولنضرب في هذه العاجلة صفحاً من حياته السياسية القصيرة التي لا تتجاوز العشر سنوات الأخيرة من عمره ، ونجمل موضوع بحثنا بدور حول ترجمة مختصرة لحياته، ودراسة مجملة لآثاره، وأخيراً ذكر أقوال الكبار من المستشرقين والعلماء فيه

° ° °

ولد كوبريلي في سنة ١٨٩٠ م بمدينة الآستانة من عائلة (كوبريلي) المشهورة في التاريخ العثماني برجالاتها البارزين في السياسة والتنظيم ، والمعروفين بنشر الثقافة والتعليم

وكان هو خلال دراسته الثانوية والجامعية (حيث درس في كلية الحقوق) مثالا للجد والنشاط فتميز بين أقرانه بذكائه الوقاد وامتاز عليهم بما كان ينشره بين حين وآخر من البحوث القيمة والمواضيع الشيقة في الأدب والتاريخ مما لفت إليه الأنظار فاهتمت به الحكومة إذ رأت أن الحاجة إليه عاجلة فعينته مدرساً في كلية دار الفنون قبل أن ينال شهادة الحقوق ودون أن يتجاوز سن الثالثة والعشرين

وقد درس كوبريلي التاريخ السياسي في المدرسة الملكية (كلية السياسة) وتاريخ المدنية في معهد الفنون الجميلة في حين أنه كان أستاذاً محاضراً في كلية الشريعة

وفي سنة ١٩٢٤ عين عميداً لكلية الفنون كما عين في نفس السنة مستشاراً في وزارة المعارف

وفي سنة ١٩٢٥ اختارته أكاديميا العلوم الروسية عضواً مراسلا لها (1)

وفي سنة ١٩٢٧ أصبح رئيساً لجمعية التاريخ التركي وانتخب عضواً فخريا في الجمعية العلمية المجرية (Korosi csoma) وفي نفس السنة أيضاً منحته جامعة (هايدلبرغ) شهادة دكتوراه فخرية في الفلسفة . وانتخب في سنة ١٩٢٩ عضواً في جمعية الشرق التشيكوسلفاكية وعضواً في معهد (الاركيولوجي) الألماني

وفي سنة ١٩٣٧ نال شهادة دكتوراه فخرية من جامعة أثينا كما نال في سنة ١٩٣٩ شهادة دكتوراه من جامعة (السوربون) الفرنسية

وقد جمع محاضراته التي ألقاها في هذه الجامعة الأخيرة في كتاب (Les origines l'Empire ottoman)

(1) المصادر : تاريخ الأدب التركي : للاستاذ نهاد سامي ، ومشاهير الترك لابراهيم علاء الدين وبعض آثار المترجم له ، ومصادر أخرى مذكورة في صلب المقال

(2) الصادرة بتاريخ ٢٣ يناير سنة ١٩٥٠

(3) والآخران هما السيد جلال بايار رئيس الجمهورية والسيد عدنان مندريس رئيس الوزراء

(4) أراد كوبريلي في سنة ١٩٤٣ ، إثر قرار الحكومة القاضي بعدم إمكان الجمع بين عضوية المجلس الوطني والاستاذية ، الانعزال عن السياسة والعودة إلى الحياة الجامعية للتدريس إلا أن الحكومة لم توافق على ذلك فأحيل على التقاعد حيث حافظ على عضوية المجلس النيابي

(1) وقد فصلته هذه الأكاديميا أخيراً عن منصبه بزعم انخراطه في سلك السياسة

ومؤلفات هذا المفكر كثيرة جدا أعلها في اللغة والتاريخ والاجتماع والأدب (١) . وقد أسس في تركيا مجلات علمية وأدبية مختلفة كما ساهم في تحرير عدد غير قليل من المجلات التركية والأجنبية . وكتب في أصل دائرة المعارف الإسلامية بعض مواد هامة كانت موضع إعجاب العلماء والمفكرين . فنشرت تلك الأبحاث عند صدور تلك الانسيكلوبيديا .

ومن آثاره كتاب (Influence de Chamanisme turco Mongol) كتبه باللغة الفرنسية ، ومنها كتاب « دراسات في التاريخ الديني في الأناضول » كتبه باللغة الألمانية ونشره في سنة ١٩٢٢

وألف بالاشتراك مع الأستاذ برتولد Barthold كتاب تاريخ التمدن الإسلامي إذ كتب القسم الأول من الكتاب الأستاذ (بارتولد) فأكمله الأستاذ كوبريلي

وكتابه « تاريخ الأدب التركي » الصادر في سنة ١٩٢٦ يعد مفخرة من مفاخر التأليف التركي ، إذ هو المصدر الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في استنباط الحقائق الأدبية فهو يتميز عن سواه بغزارة المادة ورقة الأسلوب وصحة البحث والوضع المحكم ، حتى لقد قال عنه البروفيسور (F Kraelity) أحد أعضاء أكاديمية العلوم في « فيانه » : « إن هذا الأثر الخالد يعد تاريخاً لآداب الأقوام التركية الساكنة في المناطق الممتدة بين ساحل الإدرياتيك وحدود الصين

وإنه لا يقتصر نفعه على العلماء المشتغلين في هذا الحقل ؛ بل هو دليل لكل من يروم الاطلاع على ثقافة تلك الشعوب الآسيوية عن كثب . . »

وكتابه « المتصوفون الأوائل » أحدث حين صدوره دويا هائلا في الأوساط العلمية وتردد صداه في كافة أنحاء العالم . فقد نشر البروفيسور هيار Cl Huart عضو المعهد الفرنسي بمناسبة صدور هذا الكتاب مقالا جاء فيه : « إن هذا الأثر المعظم لم يوضع ليعطي لنا معلومات جديدة ضافية ، وإنما هو أثر خالد يرشدنا إلى أساليب تطبيقية مبتكرة في أصول النقد الأدبي والتاريخي . . وإذا وجد من يدرسونه بإتقان — وسيكون الباحثون عنه كثيراً — رأوه فاتحة دور عظيم . . »

وتحدث عن الكتاب نفسه Nemeth gyula الأستاذ بجامعة بودابست بقوله : « حقا إن الجهود التي يبذلها الأستاذ فؤاد كوبريلي — ومن معه من تلاميذه — ستكسب تاريخ الأدب في تركيا لوناً يجعله في موضع لائق بين تواريخ الأدب للأمم الأخرى . . »

وهكذا نرى أن إعجاب العلماء والمفكرين بالأستاذ كوبريلي يزداد يوماً بعد يوم . وكلما أهدى إلى المكتبة الشرقية أثراً ثميناً وجدناه في كل مرة يسجل انتصاراً باهراً في تاريخ الأدب التركي؛ فقد جعله حافلا بصفات بارزة ممتازة ، وأعطاه مزاياه البديعة التي كانت كامنة بين طيات الكتب المختفية في جوانح المكتبات

وله أبحاث جد قيمة في تاريخ التصوف الإسلامي . وهي دراسات عميقة للطوائف والنحل والشيع الإسلامية في مختلف العصور ، تبحث في آداب هذه الأقوام وتاريخها ومعتقداتها وشعائرها ...

وفي هذا يقول المؤرخ العراقي المعروف الأستاذ عباس العزاوي، وقد زار كوبريلي في سنة ١٩٣٧ في استانبول : « إنه يعد من أشهر المدققين في الآداب والنحل ، له تتبعات في نواح علمية لها مكانتها من الثقافة التركية ... ولا يركن في بحوثه كلها إلا إلى نصوص تاريخية ، فهو من الموفقين في ذلك ، ومقالاته في دائرة المعارف الإسلامية مهمة جدا (١) . »

وقد قضى الأستاذ كوبريلي غالب أوقاته بين الكتب ، فهو مغرم بها ، ولا يهوى في الحياة غير البحث والتنقيب . وتعتبر خزانة كتبه في استانبول من أعظم الخزانات في الشرق بما تضمه من أنفس الكتب المخطوطة والمطبوعة . يفتحها للزائرين . ولا يبخل بعلمه على من هو في حاجة إليه . فقد قال عنه Paul witteh « إن داره الشبيهة بالبرج المطلة على بحر مرمرة تحوي كنزاً من الجواهر الفكرية . . ولم يوجد من دخل فيها وتركها دون أن

---

(١) وكوبريلي في نفس الأمر شاعر مجيد . له منظومات شعرية كثيرة متداولة بين الناس ، وقد جمع قسما منها في كتب ونشرها في استانبول منها منظومته المعروفة « جنا الروى »

١ — الكاكائية في التاريخ، ص ٢٢

يحمل بين ضلوعه مودة وحبوراً، ويأخذ من بحر أفكاره بهجة وسروراً .. فيزود الزائر هناك من العلم والأدب ما يغنيه فى مطلبه ويزجى له مقصده ... »

واقد أصاب بحق البروفيسور الرومى الكبير Gordelvahy فى مقال نشره عن الأستاذ فؤاد كوبريلي عندما قال : « إنه تمثال مجسم للثقافات الشرقية والغربية »

كركوك « العراق » **عطا الله ترزى باشى**

فلسطين !...

للآنسة فائزة عبد المجيد

يا للنداء الرهيب يجاجل فى الآفاق يهز سمع الزمن ! هناك هناك أيها العرب أمة الكم تفنى ، وراية تطوى ، ووطن يضيع ، فلسطين ! الله الله لها ، مواقف المجد تدوس معالمها ، منازل الوحى تخبو مشاعلها !

فلسطين ! يا للصرخات تتعالى من أرجائك ترج جنبات الأرض وتشق كبد السماء ! يا للرايات ترتفع فى فضائك خافقات ! يالصوت الحق يدوى ! هيا بنى الوطن ، هو ذا يوم التضحية قد جاء . أيتها الحرية اجمعى منا القلوب ، قوى السواعد، شدى الهمم أيتها الأرض ! كم سرى حبك منا فى القلوب يقينا ، وفى العروق دما ، أيتها الأرض ! لك منا الفداء ...

أرض الشهداء ! قدستك السماء ، رونك الدماء ...

أرض الأبطال ! فيك طافت مواكبهم،فيك حطت رحالهم من كل قطر وواد ، من كل قاصية ودانية ، حلوا اللواء وساروا، حفظوا الميثاق وأجمعوا، فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء... .

فلسطين ! لمن الأكاليل تعقد ؟ لمن القلوب تهتف : يا زكى الدماء تهب الحياة ، وتخط الخلود . ياجلال الفداء يلقى على الكون وشاحه ! إيه يا غضبة الأبى ! ياصيحة الحق ! أرض الشهداء ! كل بقعة لهم فيك روضة ، وعلى كل ربوة من جهادهم علم ..

أيها الهاتف القدسى ! تردد الآفاق نداءه ، يعلو الأرض سنى ، يصغى له الكون ، يهتف له المجد : فلسطين ! لن تسقط عنك الراية ، لن تدخلى فى ذمة التاريخ ، تلك الجحافل إليك نافرة ، تهتك حجاب الشمس ، أو تقطر دما ..

وى ! فلسطين ! مالها ؟ تهزها النوازل ، تعصف بها عصفا ! ما للسيوف مغمدة ، ما للمظالم تطغى ، ما للعدو يتغصب ويأثم ، ما للرايات تنكس ، ما للرقاب تذل ؟!

فلسطين ! أين مدنك الزاهرات ؟ أين محافلك الغر ؟ أين قراك العامرات ؟ أين منابع الخير وملتقى الكرم؟ انفض سامرها ، وغابت معالمها . أين توارت وما آذنت بوداع ؟

فلسطين ! أين تلك الديار ؟ أين أهلوها ؟ ذهبوا وما عادوا .

ديارنا ! مهوى أفئدتنا ! سر حياتنا أنت ! ألا سقيا لمهدك ! وسلاما لرباك...

فلسطين ! أين أهلوك ؟ كيف هامت فى الأرض قوافلهم ؟ أتفرقوا زمرا أم تقذفهم الأقدار فى حياض الردى حيارى ، أم أضحى لهم التراب وسادا ، والجوع لباسا ، والذلة نعمة ؟

فلسطين ! ما طرقتك الأحداث وكنت اضربتها هدفالتفنيك، لا ، وما صهرتك الشدائد إلالتشدمنك العزائم . منبت الأبطال ! ما ركزوا فى رباك الرماح وجففوا عرق الكفاح إلا ليجمعوا أمرهم ، ليجيبوا داعى الوطن .

فلسطين ! أين شاعر المجد يوقظه من سباته ويرسله فى أعماق المروبة ؟ نشيد النضال له قوة الألحان فى ساحات النزال ، تقوى به العزمات ، وترفع له الرايات ، يوم النضال:

« يوم النضال كستك لون جمالها
حربة صبغت أديمـــك بالدم .. »

فلسطين ! أين شاعر النصر يوحى بملحمة الجهاد فى أرض الجهاد :

« يا جهادا صفق المجــد له
لبس الغار عليه الأرجوانا ... »

نابلس — فلسطين **فائزة عبد المجيد**

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

لقاء لا ينسى مع طه حسين :

في صباح يوم الأحد ١١ فبراير طالع الناس في إحدى الصحف اليومية المعارضة ، هجوما موجها إلى وزير المعارف وبعد ذلك بيومين كنت أتلقى اتهاما سافرا بأنني صاحب هذا الهجوم ، إن لم أكن على التحقيق قد أوحيت به . . وقلت لمن حمل إلى نبأ الاتهام نقلا عن أفواه المسئولين : يتهمونني أنا ؟ ولماذا يا صديق ؟ ترى هل تستطيع أن تنقل إلى مرة أخرى مصادر الشبهات ؟ وكان رد الزميل الأديب : لأن بينك وبين الصحافة صلة عامة هي صلة القلم ، وبينك وبين رئيس تحرير الصحيفة المعارضة صلة خاصة هي صلة القرابة ، وبينك وبين وزير المعارف كما يقال أشياء !

كان ذلك في صباح الثلاثاء ١٣ فبراير ، وقبل أن أعقب أو أسأل المزيد من الوضوح ، أقبل رسول موفد من مكتب الوزير ليوجه إلى الحديث في كلمات : معالي الدكتور طه حسين باشا يطلبك . في تمام الساعة العاشرة والنصف ! ونظر إلى الزميل الأديب نظرة طويلة وعلى شفتيه ظل ابتسامة ، معناها في لغة الصمت المعبر عن حديث الشعور : لقد بدأت المحاكمة !

وتركت حجرتي المتواضعة وفيها الزميل الأديب ، وأخذت طريقي إلى الحجرة الضخمة التي ينتظرني فيها حساب وعقاب . . . وهناك تذكرت حقيقة من الحقائق لا أدري هل أوحى بها الموقف أم أوحى بها المكان : هذه الحجرة أقسم صادقا أنني أطرق بابها لأول مرة ، وأدخلها لأول مرة ، وما اتجهت إليها نفسي في يوم من الأيام . . رباه ! ما أعجب الذين يعرفون هذه الحجرة ، يعرفونها كلما ذهب عهد وجاء عهد ، وكلما مضى وزير وأقبل وزير حتى لقد حذقوا فنون التلون كما تحذقها كل حرباء ! !

واستقر بي المقام في مكتب الوزير لحظات ، ثم خرجت بعدها حين رأى صاحب المعالي أن يتم اللقاء في منزله ، على أن يكون في الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم . وأقف قليلا لأقص عليك قصة الألم المشبوب الذي ألهب مني الشعور وعصف بالوجدان ، حين حملني الخيال على جناحه ليطلعني على مشاهد شتى وآفاق : رباه ! هذا الرجل الذي لم يؤمن في حياته بقيمة من القيم كما آمن بحرية الفكر ، ولم يتطلع إلى مثل من المثل كما تطلع إلى كرامة العقل ، ولم يقدس صوتا من الأصوات كما قدس صوت القلم ؛ هذا الرجل يتغير هكذا مريبا بين الأمس واليوم ، ثم يطلب إلى أن ألقاه ليحاسبني على أنني قدست ما كان يقدسه ، وتطلعت إلى ما كان يتطلع إليه ، وآمنت بما كان يؤمن به ؟! ولماذا يحاسبني ؟ ألأنه وزير للمعارف وأنا موظف بوزارة المعارف ؟ وهب أنني كنت كاتب هذا المقال الذي لم أكتبه ، فياله من عجب أن يكون الرجل الذي يحاسب الأحرار . . . هو طه حسين ! !

وامتدت يدي إلى القلم في عنف ثائر ، ومضت تخط على ورقة بيضاء سطورا أملتها الكرامة . . وطويت استقالتي لأقدمها لوزير المعارف في الموعد المرتقب ، ولأقول له إذا ما لقيني بوجه عابس أو بصوت غاضب أو بثورة عاصفة : لا يا سيدي ! هذه هي استقالتي بين يديك ، واستقبلني بعد ذلك بوجه الأديب الكبير لا بوجه الوزير ، أو بلسان المضيف السمح والرجل الكريم . . . يفتح بابه وقلبه لضيف عابر إن طرق الأبواب فهو لا يقيم ! !

أشهد لقد كانت هذه هي خواطري التي تملأ آفاق النفس والحس قبل أن أبرح بيتي لأذهب إلى بيته ، وأن هذه الخواطر قد صحبتني وأنا أقطع الطريق وأحث الخطى إلى هناك ، إلى حيث ينتظرني حساب وعقاب . . . لقد كان يجلس وحده في حجرة المكتبة ، وحين تجاوزت الباب وألقيت بتحية المساء ، نهض طه حسين واقفا ليصافحني بحرارة ، حتى لقد هبت على الروح من الماضي البعيد نسمات . . وجلس وجلست ، وأحضرت القهوة فشرب وشربت ، وأخرج علبة سجائره ليقدم إلى واحدة يتبدد في الهواء دخانها وتتبدد معه الظنون !

وبعد عبارة ترحيب نبيلة أعقبتها مني كلمة شكر ، بدأ طه حسين

الحديث : « لقد قرأت لك منذ قريب مقالا في « الرسالة » آلمني كل الألم ، حتى لقد بعثت في طلبك لأعبر لك عن أسفي . . . ومصدر الأسف أنني كنت السبب المباشر أو غير المباشر في أن حرية الفكر قد صودرت ، يوم أن خطر لك أن تهاجمني فحيل بينك وبين هذا الهجوم ! لقد كان المقال الذي عنيتني به تحت هذا العنوان : « مشكلتي مع الأستاذ الزيات » . . . وقد فهمت أنني الوزير المقصود بتلك الكلمة ، لأنك كنت تقول للقراء إن صديقك الزيات قد حذف مقالك ، لأنه كان هجوما عنيفا على أحد الوزراء . وكنت تقول لهم أيضا إن الزيات يشفق عليك من حماسة الشباب وفورة الشباب ، وما يتبعهما من عنف القلم وجيشان العاطفة ، ولهذا فقد حال بينك وبين حرية الرأي حرصا منه على مستقبلك . وكنت تقول لهم مرة ثالثة إنك كاتب تعودت أن تكون صريحا وشجاعا لا تهمك العواقب بقدر ما يهمك أن تعبر صادقا عما في نفسك ، وإن الزيات بمثل هذا الإشفاق سيجني عليك من حيث لا يدري ولا يريد، لأنه سيدفعك آخر الأمر إلى أن تتحرر من أسر الوظيفة ، وحينئذ تستطيع أن تقول عن الوزراء ما تشاء . . أليس كذلك ؟ إسمع يا أستاذ : إن طه حسين الذي وهب قلمه قربانا لحرية الفكر يعز عليه أن تصادر من أجله حرية الفكر ! قل للزيات إنني عاتب وغاضب لأن طه حسين قد طبع على أن يحب للناس ما يحب لنفسه : يحب لهم الكرامة ، ويحب لهم الشجاعة ، ويحب لهم الحرية . وإنه ليسعده أن يهاجمه الناس بمثل هذه الأسلحة ما دام رائدهم الحق وقائدهم الضمير . . . أيظن صديق الزيات أنك حين تهاجمني ثم يسمح بنشر هذا الهجوم على صفحات « الرسالة » ، أيظن أن ذلك سيفسد ما بيني وبينه من أسباب الود وروابط الوفاء ؟ كلا ! إن شيئا من هذا لا يمكن أن يكون ... لأنني واثق كل الثقة من أنك لست كغيرك من الناس ، أولئك الذين لا يرجعون إلى ضمائرهم فيما يكتبون ! هذه كلمات أود أن تنقلها إلى الأستاذ الزيات ، إذا ما كان هدفه الأول من وراء حذف كلمتك هو إرضاء طه حسين ... أما إذا كان يشفق عليك حقا لأنك موظف في الدولة أو موظف في وزارة المعارف بالذات ، فإن وزير المعارف يأذن لك في أن تهاجمه كما تشاء وبأي أسلوب تحب ! إن أقول لك لا تخف لأنني أعرف أنك لا تخاف ، ولو كنت من الذين يخافون لما احترمتك ... ان أقول لك هذا ، وإنما الذي أريد أن أقوله هو أن طه حسين لا يضيق أبدا بحرية الرأي ، سواء أكانت هذه الحرية موجهة إلى نقد أعماله كأديب أو نقد أعماله كوزير ، لأنه لم يزد على كونه إنسانا يخطىء ويصيب » !

هذا هو طه حسين كما رأيته على حقيقته ... جئت إليه ليحاسبني فإذا هو يحاسب نفسه ! أشهد لقد هزتني كلماته هزا عنيفا ، وما تعودت أن يهزني شيء . كما هزتني تلك المواقف النادرة، هناك حيث تتجرد النفوس من أكثر أثوابها ثم لا يبقى لها غير ثوب واحد ... هو ثوب الإنسانية ! لقد كان طه حسين في تلك اللحظة يرسم على لوحة الشعور صورة فريدة لم يرسمها من قبله إنسان . ولا فنان ! أهذا هو الرجل الذي صحبت الظنون حين تصورته ، فظلمت نفسي وظلمته ؟ يا عجبا ! لقد كان الرجل العظيم النبيل بريئا مما تخيل أنه منسوب إليه ، ومع ذلك فقد دفعه الضمير الحر اليقظ إلى أن يدفع عن نفسه كل شبهة ، حين يكون الأمر متعلقا بحرية غيره من أصحاب الآراء والأقلام ... وقلت له وأنا مأخوذ بنبله ومفتون بإنسانيته :

« أود أن أقول لك يا سيدي إنني عاجز عن شكرك ، وأعتذر إليك من هذا الذي تبادر إلى ذهنك ، لأن المقصود بذلك الهجوم كان وزيرا آخر غير طه حسين ، وتلك حقيقة يعرفها الأستاذ الزيات » !

وعقب الرجل العظيم النبيل في تواضع جميل : « إذا كانت هذه هي الحقيقة فإني أكون قد أزعجتك .. ومرة أخرى أعبر لك عن أسفي » !

وقلت له وقد تكشف لي من أمره ما لم أكن أعرف : « يا سيدي عفوا . . وإذا كان إزعاجك لي معناه أنني سأعرفك على حقيقتك ثم أتحدث عن هذا الذي عرفت إلى الناس ، فأرجو أن تزعجني كل يوم . . . وما دمت تؤمن بحرية الرأي لغيرك كما تؤمن بها لنفسك ، فأود أن تأذن لي في أن أقول لك بصراحة : إن لدي كلاما كثيرا أود أن أفضي به إليك هنا ثم أتحدث به إلى الناس هناك ، أعني على صفحات « الرسالة » . ولكني أخشى أن يعترض الزيات طريقي غدا كما اعترض طريقي بالأمس ، لأن هذا الرجل من أحفظ الناس لود الأصدقاء وفي مقدمتهم طه حسين !

ولا أقصد بالطبع أنه حال بيني وبينك في ذلك الموقف الذي حدث منذ قريب ، ولكنه فعل ذلك في موقف آخر بالأمس البعيد ، حتى لقد انقطعت عن « الرسالة » شهرين عدت بعدهما إلى الكتابة خضوعا لرغبة الأصدقاء . . . هل تسمح لي بأن أوجه إليك شيئا من النقد في ناحية خاصة ، كانت ولا تزال مثار ألم عميق ، عند من يضعون ثقتهم فيك » ؟ !

واعتدل الرجل العظيم النبيل في جلسته ، وأقبل علي بوجهه السمح وخاطبني بصوته الحبيب : « قل لي ما تشاء يا أستاذ ، وقل عني لقراء « الرسالة » ما تريد ، وانقل إلى الزيات ما سبق أن أشرت إليه ، وهو أنني سأكون عاتبا وغاضبا إذا اعترض طريق رأي من آرائك في طه حسين ، وحال بينه وبين أن يبلغ منافذ الأسماع .. صدقني أن كثرة شواغلي لا تتيح لي أن أقرأ الكثير من الإنتاج الأدبي ولا أن أتابع الكثير من الكتاب ، ومع ذلك فأنت واحد من هذه القلة التي أحرص على أن أقرأ لها في كل حين » !

وقلت وقد غلبني التأثر بعد هذا الثناء المضمخ من سمو الخلق بأزكى عبير : « إذا كان هناك شيء أعتز به فهو كريم تقديرك .. وإذا كان هناك أمر أود أن أطالعك به فهو أن أقول لك : لقد فعلت الكثير من أجل التعليم والمعلمين ، ولكنك لم تفعل إلا القليل من أجل الأدب والأدباء » !

وارتسمت على وجهه مظاهر الاهتمام ، وعبرت قسماته عن سؤال ينتظر الجواب ثم قال : « أما عن التعليم فأنت مغال فيما نسبته إلي من جهد في سبيله ! ماذا فعلت من أجل التعليم ؟ إنها خطوة قصيرة المدى محدودة الأثر أرجو أن تعقبها خطوات . . . وأما عن الأدب وأهله ، فأود أن تقدم إلي بعض الأمثلة تأييدا لاتهامك ! هل أنا مقصر حقا في هذه الناحية ؟ وماذا ينتظر مني الأدب وماذا يطلب الأدباء » ؟

وأجبت وأنا من تواضعه الجم في حيرة تقترن بالإعجاب : « لا يا سيدي ! إذا كان التواضع سيفرض عليك أن تظلم نفسك وأن تنكر جهدك فإن التاريخ سينصفك بلا جدال ، وأعتقد أن الرأي العام قد بلغ من النضج والوعي ما يهيئ له أن ينظر إلى أعمالك نظرة عادلة ، مهما حاولت أن تختفي وراء حجب شتى من التواضع وإنكار الذات . أما إذا كنت ترغب في أن أقدم إليك بعض الأمثلة على أنك لم ترع الأدب ولم تذكر حقوق الأدباء ، فلا بأس من أن أتحدث هنا باختصار على أن يكون الحديث المفصل على صفحات الرسالة » !

وعندما قدمت إليه بعض الأمثلة هتف الرجل العظيم النبيل في نبرات صادقة : « إنني لا أستطيع إلا أن أوافقك .. وأكون شاكرا لو تناولت قلمك وكتبت في هذا الموضوع مهاجما طه حسين ، لأن مثل هذا الهجوم سيساعدني كثيرا في مجلس الوزراء ، يوم أن أستشهد بما كتب في « الرسالة » على أن للرأي العام الفني مطالب يجب أن تنال ! أما التاريخ الذي تقول إنه سينصفني في الغد القريب أو الغد البعيد ، فصدقني إذا قلت لك إنني ما اتجهت إليه يوما بتفكيري كلما قدمت إلى الناس عملا من الأعمال .. . حسبي أن أتجه إلى نفسي وحدها وإلى ضميري وحده ، حتى يستريح كل منهما وأستريح » !!

وقلت له بعد أن تطرق الحديث إلى موضوع آخر أمسك القلم مؤقتا عن الإشارة إليه ، قلت له بعد ذلك وقبل أن أودعه شاكرا له هذا اللقاء الذي لن أنساه : « هل تعلم يا سيدي أن ما حدث في هذا اللقاء كان بالنسبة إلي مفاجأة كاملة ؟ لقد حضرت إليك وليس في ذهني غير خاطر واحد ، هو أنك ستحاسبني على ذلك المقال الذي ظهر في تلك الصحيفة المعارضة ، فإذا أنت تحدثني عن شيء آخر لم يخطر لي على بال ، وأعني به مقال « الرسالة » ... لقد كنت أتوقع أن يدور كل حديث حول ذلك المقال ، لأن بعض المسئولين في الوزارة قد اتهموني بكتابته ، إن لم أكن في رأيهم قد أوحيت به » !

ويا لها من ابتسامة رقيقة عذبة تلك التي داعبت شفتيه ، ثم غمرت بضيائها الباهر آفاق الشعور حين قال : « أوه .. ذلك المقال الذي ظهر منذ يومين ؟ لا ضير أبدا من أن يكون كاتبه هو أنت ، ولا ضير أبدا من أي هجوم يوجه إلى وزير المعارف ، مادام رائده الحق كما قلت لك وقائده الضمير » !!

ونهض الرجل العظيم النبيل واقفا ليودعني في حرارة ، حتى لقد هبت على الروح من الماضي البعيد نسمات ... رباه ! إن المنصب الخطير لم يغير من خلق طه حسين ، وإن الصورة الحبيبة التي عرفتها بالأمس . لم تنل من بهائها الأيام !!

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

طه حسين الوزير يحكم في طه حسين المؤلف :

« كان شعاري منذ وليت وزارة المعارف ألا تشترى الوزارة كتبي حتى أخرج منها ، وتقدمت في ذلك إلى أعواني فأنكروه ولكنهم أذعنوا له . حتى إذا سافرت إلى أوربا في إبريل الماضي وناب عني في الوزارة زميلي معالي عبدالفتاح الطويل باشا اشترت الوزارة بعض نسخ من طائفة من كتبي لمكتبات المدارس وأعدت قراراً بشراء كتابي « الوعد الحق » و « رحلة الربيع » ليوزعا على التلاميذ ؛ فلما رجعت من أوربا أثناء الصيف عرفت ذلك فغضبت منه أشد الغضب . وكانت إجراءات كتابي « الوعد الحق » و « رحلة الربيع » لم تتم ، فأمرت بوقفها وألغيت قرار الزميل عبد الفتاح باشا . أما صفقة الكتب التي اشتريت للمكتبات فكانت قد تمت ، ولم أجد إلى إلغائها سبيلا إلا أن أرد ثمنها إلى الوزارة وأعتبرها تبرعاً مني للمكتبات . وأقسم لو ملكت ثمنها ما ترددت في ذلك ؛ ولكني أعيش بعرقي راضياً بما قسم الله لي ، وأقسم لو كان لي في ثمن هذه الكتب نصيب ما ترددت في اقترافه ورده إلى الوزارة ، ولكني أبيع حقوق الطبع للناشر وأقبض ثمنها مقدما ، وأترك الناشر يوزع كتبه كما يشاء أو كما يستطيع . وإن آسف لشيء فإنما آسف لأن عملي في الوزارة يمنعني من تأليف الكتب وبيع حقي فيها مقدماً للناشرين . ومع ذلك كله فما أظن أن وجود هذه الكتب في المكتبات في متناول المدرسين والطلاب ، يضر أولئك أو هؤلاء ، أو لا ينفعهم »

ذلك جزء من حديث معالي الدكتور طه حسين باشا الذي أفضى به إلى الأستاذ كامل الشناوي فنشرته « الأهرام » يوم الأحد الماضي ، وهو يلخص لنا القصة التي أثيرت حولها مجاجات ملونة بالحزبية السياسية ، ولهذا أتجنب الخوض فيها . إنما يعنيني هنا هذا الظلم الصارخ الذي يصبه الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف على مؤلف الأيام وعلى هامش السيرة وذكرى أبي العلاء وحديث الأربعاء والوعد الحق و ... الخ . بل أقول إن هذا الظلم لا يقف عند ذلك المؤلف ، بل يمتد إلى آلاف الناشئين في المدارس إذ يحرمهم تلك الوجبات العقلية وما تحتويه من فيتامينات الأدب والفن

لقد أجمع الناس على أن كتب طه حسين من خير ما يقرأ وأنفس ما يقدم للتلاميذ وأنفعه ، وتوالت كتابات الكتاب في هذه الحقيقة منذ ذلك الصيف الذي أصدر فيه معالي الدكتور طه قراره بوقف شراء كتبه . وأقول « أجمع الناس » ولا أستثني من كتب معارضا ، فقد لاحظت أن المعارضة قصرت أمر الاعتراض — من حيث مؤلفات معاليه — على الشكل دون الموضوع ، أعني أنها قالت في ذلك إن وزير المعارف أصدر قراراً بعدم شراء كتبه ثم اشترت الوزارة كتبه وقد جاء في حديث معاليه أن صفقة الكتب التي اشتريت كانت قد تمت قبل ذلك القرار ، وبهذا لم يبق للاعتراض محل . ولكن المعارضة نفسها لم تعترض ولم يكن ينبغي لها أن تعترض على مجرد الشراء

ولم يكن ينبغي ولا ينبغي لأي كان ممن ولوا أمر تقرير كتب المطالعة الإضافية أن يغفل كتب طه حسين لمكانة هذا المؤلف — المسلم بها من الجميع — في عالم الفكر والأدب في هذا العصر

ذلك إجماع الناس — يامعالي الباشا — على تقدير ذلك المؤلف والاعتراف بنفع كتبه ، فبأي حق تظلمه . وبأي حق تمنع حق إشراقه على عقول التلاميذ ؟ الأنك وزير ؟ لا ، فأنت وزير ديمقراطي ، وهذا حكم الرأي العام ...

لو كنت عضواً في البرلمان لاقترحت على المجلس أن يقرر تلك الكتب أو يعتبر تقريرها رغبة برلمانية ويبعث بها إلى وزارة المعارف للعمل على تحقيقها ولو عارض معالي الوزير ...

مناقشة في « الموقف الدولي في آسيا »

افتتح قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية ، يوم الجمعة الماضي سلسلة للبحث والمناقشة موضوعها « مصر بين الشرق والغرب »

وكان الموضوع الأول فى هذه السلسلة « الموقف الدولى فى آسيا » وقد تألف رواق المناقشة من الأساتذة والدكاترة محمود عزمى ومحمد زكى عبد القادر وفؤاد صروف وسليمان حزين بك وحسين كامل سليم بك

بدأت المناقشة بتحديد آسيا ، فاشتد الخلاف فى هذا التحديد بين الدكتور عزمى والدكتور حزين ، إذ حدها الأول بالحدود الجغرافية المشهورة ورأى أن يخرج من موضوع البحث البلاد العربية لارتباطها بمصر ، وهذه فى إفريقية . فانبرى الدكتور حزين بك يقول إن الرأى الحديث فى تحديد آسيا يجعلها تشمل شمال إفريقية ويعتبر أوربا شبه جزيرة من آسيا ، وتسمى هذه القارة الكبيرة « أور فراسيا » وعزز ذلك ببيان وجه الشبه فى الموقف السياسى فى كوريا وفى أوربا فنى كوريا الشيوعية شمالا والديمقراطية جنوبا ، وكذلك فى أوربا الشرقية

ونشب الخلاف مرة ثانية بين الأستاذ زكى عبد القادر والدكتور سليمان حزين بك ، عندما قال الأول إن آسيا ليست إلا مسرحا لسياسة الأمم الغربية فهى تتكون من أمم ضعيفة تتنازع النفوذ فيها دول الغرب القوية ، فقال الدكتور حزين : إن فى آسيا حيوية كامنة ، وقد برزت قوتها فى الصين ، وفى صراع إندونيسيا لهولاندا ، والقارة تتكون من نحو نصف سكان العالم وتسودها الآن اليقظة الوطنية . قال الأستاذ زكى : نحن نتكلم عن الحاضر لا عن المستقبل . فقال الدكتور حزين : إن الحاضر يدل على مستقبل قريب

وفى خلاف ثالث اشتبك الدكتور محمود عزمى وحسين كامل سليم بك ، إذ رأى الأول أن زحف كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية ليس اعتداء وإنما هو التجاء إلى العنف لتحقيق غرض سياسى هو توحيد البلاد وإخراج المحتلين منها ، وبين الفرق بين العدوان والالتجاء إلى العنف وضرب مثلا لذلك مصر والسودان مفترضاً أن مصر رأت أو استطاعت أن ترسل جيشها إلى الخرطوم لتحقيق وحدة الوادى ... وهنا دوت القاعة بتصفيق الحاضرين . ثم تحدث حسين كامل سليم ذاهباً إلى وصف ذلك الزحف بأنه عدوان ، وقال إن كوريا تعتبر خط دفاع للديمقراطية فى آسيا أمام الشيوعية ، وتدخل فى هذا

كشكول الأسبوع

□ وافق مجلس المجمع اللغوى فى جلسة الاثنين الماضى ، على مارأته لجنة الأدب فى منح جوائز المسابقة الأدبية ، وقد فاز فى الشعر ثلاثة ، وفى البحث الأدبى اثنان . ولم يفز أحد بجائزة ابن سينا وجائزة القصة . وسيحتفل المجمع بإعلان هذه النتيجة وتقديم الفائزين فى الأسبوع الثالث من شهر مارس القادم .

□ سأل مندوب الأهرام معالى الدكتور طه حسين باشا عما نشر من صعوبات فى سبيل إنشاء معهد فاروق فى طنجة ، فأجاب معاليه : « لا أظن ... ومع ذلك فقد طلبت إلى زميلى وزير الخارجية أن يتحقق الأمر ، فإذا ظهر أن هناك صعوبة تحول دون إنشاء المعهد فى طنجة فان الحكومة المصرية ستطالب إنشاءه فى مدينة تونس أو مدينة فاس بمراكش »

□ فى حديث بندوة الأستاذ كامل كيلانى ، أنى الأديب المتمكن الأستاذ جمال الدين أباظة بك بقول شوقى :

وإذا عفوت فقادرا ومقدرا لا يستهين بعفوك الجهلاء

وقال : لا بد أن تكون « مقدرا » بكسر الدال لا بفتحها (كما فى الديوان وكما تنطق أم كلثوم) فالمقصود أنه يقدر (بالكسر) فى عفوه فلا يعفو إلا على من يستحق حتى يستهين بعفوه الجهلاء ، أما الكلمة بالفتح فلا تأتى بجديد لأن من يعفو يقدر (بالفتح) حتما وكذلك لا يكون للشطر الثانى موقع مناسب .

□ كتب إلينا الأستاذ سيد أحمد عمر مدير روضة أطفال الجامعة العربية بكوبرى القبة ، يشكو من محاولة المالك إخلاء المنزل من المدرسة ، ويتوجه إلى معالى وزير المعارف رجاء أن يهتم قلم القضايا فى الوزارة بالقضية المعروضة حتى لا تضطر إلى غلق المدرسة فى الوقت الذى يعمل فيه معالى الوزير على الإكثار من المدارس لنشر التعليم .

□ قدم أحد الشيوخ المحترمين سؤالا أحيل إلى الإذاعة ، لاحظ فيه كثرة الأخطاء اللغوية فيما يذاع ، وطلب أن يتلافى ذلك ، حتى يكون مايذاع بالعربية فصيحا صحيحا .

□ جرى الأمر فى الإذاعة المصرية على أن يذيع نشرة الأخبار مذيع ومذيعة ، كل يلقى خبرا ، ويقتضى ذلك أن يكون الاثنان وحدهما فى (الاستديو) وقد علق على ذلك أحد الظرفاء بأنه « خلوة إذاعية »

الخلاف الدكتور سليمان حزين فأيد الدكتور عزى فى أنه من حق الشعب الكورى أن يعمل على توحيد جزأيه ، ثم قال إن الذى حدث أن المصلحة الوطنية الكورية ضحى بها فى سبيل التنافس بين الكتلتين الغربية والشرقية ، وقد نجحت روسيا فى خطتها العسكرية إذ استدرجت الغرب إلى هذه الحرب التى جشمته خسائر فادحة على حين لم تخسر روسيا جنديا واحداً ، ولذلك كان من الخير للغرب ألا يتدخل

وتناول الرواق بالمناقشة مسألة انتشار الشيوعية فى آسيا ، وعزوا ذلك إلى متاخمة روسيا للقارة وسوء حال المعيشة وفساد الحكم فى البلاد الآسيوية التى انتشرت فيها الشيوعية . ولخص الأستاذ معروف الملاحظات التى اتفق عليها الجميع فى ثلاثة أمور : (١) يقظة الآسيويين وثورتهم على الاستعمار وعلى النظم القائمة فى بلادهم (٢) انحسار النفوذ الأوربى عن أكثر البلاد الآسيوية (٣) انتشار الشيوعية

واختتم الأستاذ زكى عبد القادر المناقشة قائلا : قد تصبح دول آسيا هى المسيطرة على العالم ولكنها الآن مسرح للنزاع بين الكتلتين ، وقد شاعت فيها الشيوعية ونشأت بها دولة شيوعية قوية ، ولكن كيف يكون المصير ؟ هل تستبدل هذه الشعوب سيداً بسيد أو تكون لها قوتها الذاتية ؟ وهل تظل نظم الصين مطابقة لنظم روسيا أو تصبح أفكارها مغايرة ؟ يتوقف جواب ذلك كله على سير الأمور فى العالم وعلى مدى اليقظة فى الأمم الآسيوية

حول محاضرة الدكتور ناجى :

... وبعد . فقد كنت أود أن أسبق الأديب « أسامة » فى الرد على ما عقبت به حول محاضرة « الدكتور إبراهيم ناجى » ولكن شواغل حياتى الخاصة التى لا أشك أنك عرفت طرفاً غير يسير منها – وفضل ذلك راجع إلى أخينا الأستاذ المداوى – صرفتنى عن الكتابة إليك فى حينه . والآن وبعد أن هدأت العاصفة واستقر كل شىء يسرنى أن أرسل كلمة عتاب هادئة لشاعر « ليالى القاهرة » الذى تجنى كثيرا على الرسالة وشعرائها . وهى تهمة أعيذ كبار كتاب مصر الشيوخ منها

لماذا يريد الدكتور ناجى أن تتخلص الرسالة من الشعراء الذين تنشر لهم منذ سنوات ؟ ألأجل أن يحتكرها هو ؟ أم أن هناك سبباً لا يدركه إلا هو والراسخون فى علم الطب ؟! وبأى حق يلقب هؤلاء الشعراء بـ « التافهين » هل هو أشعر منهم أم هو أعلم أهل زمانه بقواعد اللغة ؟

صدقنى ياسيدى أنى كلما راجعت العدد الذى عقبت فيه على محاضرته عجبت من سكوت الشعراء على هذا التجنى الشنيع والموقف الذى وقفه الدكتور من زملائه وفيهم من هو أعلم بأسرار البلاغة . وخصوصاً حين أرجع إلى ذاكرتى فأردد بينى وبين نفسى قوله

« أجرجر » وحدتى فى كل حشد   وأحمل غربتى فى كل جمع

وأقول : مرحى مرحى يادكتور ، من قال لك إن لفظة «أجرجر» تستعمل بمعنى «أجر» وفى أى قاموس وجدتها وأنت قد بلغت الآن الستين من عمرك المديد

تصور ياصاحب « الأدب والفن فى أسبوع » حال شاعر لا يعرف كيف تستعمل الكلمات فى محالها ، وقل لى بحق العلم والفن والأدب هل يجوز له نعت إخوانه بـ « التافهين »

لقد كنت فى « باريس » إبان أخرجت المطابع المصرية ديوان الدكتور وعند مرورى بالإسكندرية وبيروت ودمشق لم أحصل على نسخة منه ، وفى بغداد أكد لى أصحاب المكاتب أنه لم يرد حتى الآن لأقرأه وأعطيه حقه من النقد . فهل يتكرم أصدقائى فى القاهرة بإهدائى نسخة من « ليالى القاهرة » فأكون لهم من الشاكرين وأحبذ لو يتفضل الدكتور إبراهيم ناجى فيحمل عنهم هذا العبء ..

وختاماً يا صديقى الأستاذ عباس أود أن أحيل إليك هذا السؤال لترد أو تعقب أنت عليه بدلاً من صديقك الدكتور فأقول سائلا ومعاتباً :

من هم الشعراء التافهون الذين يعنيهم الشاعر ناجى؟ أهم كانوا من العراق ، أم من سوريا ولبنان ، أم من مصر والسودان ؟ إن كانوا من العراق وأنا منهم طبعاً فهل لك أن تبين لنا عيوبنا لنتجنبها

فى المستقبل القريب ؟!

هذه جناية كبرى لا نغتفر للدكتور ناجى آمل أن تدار كوها عسى أن تخفف ماعلق بنفوسنا من أشجان .

واسلم لأخيك

بغداد – أمانة العاصمة عبد القادر رشيد الناصرى

عندما علقت على محاضرة الدكتور إبراهيم ناجى « الشعر العربي المعاصر » لم أقصد إلى انتقاص قدره ومكانته فى عالم الشعر، إنما لاحظت أنه أراد أن يخلى المكان ويمسح كل من يشغله ليجلس فيه وحده، وقد أشفقت عليه لأنه يجشم نفسه هذا العناء وهو يستطيع أن يأخذ مكانه – وهو آخذه بالفعل – مستريحا فسيحا

والذى ألحظه فى رسالة الأخ الشاعر الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى – ويسرنى أن حالته قد استقرت – أنه قد غضب من وصف الدكتور ناجى شعراء الرسالة بأنهم تافهون لأنه منهم، وهو يعجب من سكوت بقية الشعراء .. ولكنى أرى الأمر أتفه من أن يثير هذا الغضب، فقد رويت ذلك الوصف وأنا أعتقد أنه يحمل فى تضاعيفه السخرية به .. فالرسالة تنشر لشعراء معروفين وغير معروفين مقدرة ما تنشره، وليس قول أحد بضائره ... فالناس تعرف ما ينكره ...

وقد نقدت محاضرة الدكتور ناجى، ولم أتعرض لشعره، وأقول الآن إن بعض ما يقوله يعجبنى، ومنه هذا البيت الذى أورده الأستاذ الناصرى فى رسالته :

أجرجر وحدتى فى كل حشد وأحمل غربتى فى كل جمع

فأنا أشاركه هذا الإحساس، وأراه موفقا فى التعبير عنه . هذا الشاعر الذى يعيش وحيدا وغريبا بين الناس لأنه يحيا بمشاعره فى عالم غير عالمهم – جدير بالأنس إليه . وهو لا يترك تلك المشاعر عند ما ينتقل إلى الناس بل ينقلها معه فتجر عليه الوحدة والغربة . أما « أجرجر » فلا أرى بها بأسا ، بل أرى فيها بلاغة؛ فالجرجرة – كما نفهم من الأمثلة الواردة فيها – التحريك مع الصوت وهو نفس المعنى الذى يستعمل فى العامية، واستعمال الفعل « أجرجر » فى البيت، فيه تجسيم الوحدة إذ يشبه بالجسم الثقيل الذى يحدث جره صوتا مزعجا، وهذا يلائم المعنى، إذ يزيد الإحساس بالوحدة ضيقا وثقلا

وتحياتى وأطيب تمنياتى للأستاذ الناصرى، وأرجو ألا يضن عليه الدكتور ناجى بنسخة من « ليالى القاهرة »

عباس خضر



معركة الاسلام والرأسمالية

تأليف الأستاذ سيد قطب

للأستاذ ابراهيم الوائلي

إن النكسة التى أصابت الإسلام فى تطبيق نظمه على منهجها الصحيح ترجع إلى أكثر من ثلثمائة وألف سنة . أى: منذ تحول الحكم المقيد بالشورى إلى ملك مطلق يورث كما تورث القصور والبساتين والأموال ، وقد بعدت الشقة بين النظم الاسلامية وبين تطبيقها يوم أن تسلط على رقاب المسلمين عناصر لا تعرف من الحياة غير البذخ واللذات والشهوات ، وتعقدت المشكلة أكثر من ذلك يوم أريد لهذا الدين الواضح السهل أن تنصب فيه تيارات غريبة عنه من التقاليد والعادات التى لا عهد للمسلمين بها . وفى بداية النكسة قام أبوذر يبث الدعوة للاسلام الاشتراكى حتى تحمل الأذى فى سبيل مبادئه . ولم تكن دعوته إلا صدى للدعوة الأولى عند انبثاق الفجر ، واستجابة للحد من تلك الطفرة البعيدة التى منى بها الاسلام فى مرحلته الأولى حتى أفلت الزمام فى المراحل التى بعدها

ولا نغالى إذا قلنا : إن تلك القصور على النوطتين أيام الأمويين ، وفى بغداد وسامراء أيام العباسيين ، وعلى البسفور والدردنيل أيام العثمانيين ، لم تكن إلا من الأمثلة السيئة فى تاريخ الإسلام الصحيح . أما فى عرف التبجح والارستقراطية فهى رمز للمكانة الكبرى التى كان يتمتع بها أولئك الخلفاء كما يسميهم التاريخ !! . نعم : التاريخ العاطى المقلوب ... خذ مثلا من أمثلة هذا التأريخ المقلوب عن حاكم عباسى سكير عربيد يهب فى إحدى لياليه للخمار ألف دينار ولزوجة الخمار مثلها ، ولكل واحدة من بناته خمسمائة ، ويطلب من شاعره أن يصف هذه الليلة فيقول الشاعر :

يا حانة الشط قد أكرمت مثوانا
عودى بيوم سرور كالذى كانا

لا تحرمينا دعابات لإمام ولا
طيب البطالة إسرارا وإعلانا

هذا الحاكم السكير الواهب يسميه التأريخ خليفة للمسلمين ويسميه الشاعر (إماما) : وما أبعد هذا عن الخليفة القائل :

وحسبك عاراً أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القد

أتعلم من ذلك (الخليفة الإمام) ؟ إنه الواثق العباسى ، أما الثانى فهو على بن أبى طالب ، وليس فى تأريخ المسلمين غير (على) واحد يحمى الحديدة لأخيه عقيل من أجل حفنة من الشعير اقتصدها من قوته اليومى ، ولكن كم فى تأريخ المسلمين من (واثق) مسرف سكير ! إن أمثال هذا هم الذين أشاعوا التفسخ فى دنيا الاسلام ، وها نحن أولاء نقاسى تبعات هذا التفسخ فى عصرنا الحاضر ، هذا العصر الذى لم يرث عن عصر على وعمر أى شئ ، كما أنه لم يرث عن الأمويين قوتهم وفتوحاتهم ولا عن العباسيين علومهم وآدابهم ، وإنما ورث عن هؤلاء وأولئك البذخ والترف والقصور والأقطاع ، كما ورث عن العثمانيين والمماليك كل ما اتصفوا به من الاستبدادا المطلق والجشع الماحق ، والرشوة والنهب والسلب وبيع الوظائف فى سوق (المزاد) السرى وإغداقها على الأنصار والذيول . ورث منهم هذه الفروق الشاسعة بين طبقات الناس ، فإلى جانب القصور المحلقة بأجنحتها تمشش الهياكل الآدمية فى أكواخ وبيوت كأنها القبور ليس فيها إلا الدود والعظام . وإلى جانب الأكراش المترهلة بألوان الطعام بطون وبطون تنطوى على الجوع والحرمان . وإلى جانب الأكتاف والنحور المثقلة بالفرو والسنجاب والماس والجواهر أجساد عارية لا تجد الكساء . وإلى جانب الاقطاعيات المترامية مشردون لا يجدون مفحص قطاة . وإلى جانب الحكام والمتنفذين محكومون يلوذون بالصمت حينا وبالتذمر حينا آخر ، وكلا الحالين أحلاهما مر ؛ ففى الأول جوع ، وحرمان وفى الثانى سجن وتعذيب . وإلى جانب الاستعمار المستشرى شعوب ذليلة خاضعة تأتيها الصفعة من كل جانب ، !! هذا هو التفسخ السياسى والاجتماعى فى البلاد

العربية والاسلامية بصوره لنا الأستاذ الكبير سيد قطب فى كتابه الجديد « معركة الإسلام والرأسمالية » ففى هذا الكتاب دعوة صارخة إلى الحق والكف عن الفوضى التى دهورت المجتمع العربى والاسلامى وجعلت منه ميدانا فسيحا لعبث العابثين وألعوبة بين المستعمرين حتى تساوى متعلموه وجهاله فى ضعف الذاتية وتبلد الفكر والتواء الطريق وسخف الهدف والاتجاه . وكثيرا ما نسمع فى هذه الأيام من الكلمات الفارغة هنا وهناك فى الإصلاح والتكتل الاسلامى وما شابه ورادف .. كلمات لاتجدى شيئا لأن قائليها عبيد مأجورون قد انعدمت ذاتيتهم وضؤلت نفوسهم . أما الأستاذ قطب فليس من أولئك لأنه ليس بسياسي (مأجور) ولا معمما يتجر بالدين، وإنما هو واحد من أحرار الفكر والضمير

ومن الخير أن أسوق بعض الأمثلة من هذا الكتاب الذى بين أيدينا . قال الأستاذ قطب فى ص ٧ :

« إن الإسلام ليصرخ فى وجه الظلم الاجتماعى والاسترقاق الأقطاعى وسوء الجزاء ، وإنه ليمد الكافحين لهذه الأوضاع بقوة ضخمة من الكفاح والصراع ، وما من وضع اجتماعى هو أبعد عن روح الإسلام من أوضاعنا القائمة .. وما من إثم أ كبر من إثم الذين يدينون بالإسلام ثم يقبلون مثل هذه الأوضاع أو يبررونها باسم الإسلام ، والإسلام من مثلها براء »

ويتحدث عن الكتلة الإسلامية فيقول فى ص ٣٣ :

« فى هذا العالم رقعة فسيحة متصلة الحدود من شواطئ الأطلنطى إلى جوانب الباسفيكى تضم أ كثر من مائتى مليون من الناس يشتركون فى عقيدة واحدة ونظام معيشى واحد ، وتقاليد متقاربة وانة إن لا تكن واحدة فهى فى طريقها لأن تصبح لغة التفاهم للجميع ... فأى عقل يمكن أن يغفل هذه الكتلة الضخمة من الحساب ؟ »

وفى ص ٣٨ يتحدث عن العالم العربى وموقفه من النزاع الدولى فيقول :

« إن هذا العالم العربى المزق فى براثن الاستعمار الغربى ليستحق اللعنة والاحتقار إذا مد يده الذليلة ليسند الغرب الفاجر فى بأسائه مرة أخرى »

قد يقال : إن الأستاذ قطب يدعو إلى فكرة رجعية تحرمنا (لذة) الاتصال بالغرب ولكن الشأن غير ذلك فهو يقول فى ص ٣٥ و ٣١ :

« نحن لا ندعو إلى عزلة فكرية أو اجتماعية عن ركب الإنسانية المندفع فنحن شركاء فى القافلة ، شركاء فى الحضارة البشرية . . . ولكننا ننعى هذا التسول الدائم الذى نزاوله وهذا الاستجداء الزرى الذى نحن عاكفون عليه . . . وما دمنا نستجدى دائما ولا نعطى شيئا فنحن على مائدة الإنسانية فى موضع الشحاذ المتسول لا فى موضع الواهب الكريم »

هذه بعض الأمثلة من هذا الكتاب ؛ وكله على مثل هذا النسج وقد كتب بأسلوب مؤثر تمكن فى طياته حرارة القلب المؤمن بوطنه ودينه وأمته ، ونضج المفكر الحر الذى يشعر بكرامته وكرامة جنسه ، وصدق الداعى الذى يؤمن برسالته أحر الإيمان . ولعل هذا الوصف الشامل الدقيق للحالة الاجتماعية والسياسية يعود ويكون مقدمة لما فى الكتاب من استيحاء للنظم الإسلامية فى مختلف نواحى الحياة، وقد عالج الأستاذ قطب هذه النظم بدقة وطبقها من الوجهة النظرية على شؤون المجتمع

هناك كلمة أقولها للصديق الكبير على صفحات الرسالة ولعلى قلتها له فى معارض الحديث أكثر من مرة : إن هذه الدعوة التى يدعو إليها حق لا مراء فيه ولكن أين هى القوة المنفذة التى تستطيع أن تطبق الأحكام والنظم الإسلامية بدقة ؟ وهل باستطاعتنا أن نخرج من الحدود النظرية إلى العملية فى وقت تتولى السلطة فيه طبقات تحارب الإسلام لأنه يحاربها . . . ؟ وهل بامكاننا أن نقيم صرحا متينا على دعائم متآكلة وجدران متداعية ؟ إن لحظة من الزمن وكلة من لسان لا تستطيعان استخلاص الإسلام من الشوائب التى علقت به طيلة ثلاثة عشر قرنا ، ولكن بعد أن ننقى التربة ونسقى الماء يمكن أن نعيد غرس هذه الشجرة من جديد وأن ننعم بظلها وثمرها

ولعلى أتجنى على الأستاذ قطب بهذه الكلمة لأنه لم يغفل هذه الناحية التى تعترض طريق التطبيق بل أحاطها كثيرا واستعرضها استعراضا شاملا وأهاب بالشعوب الخاضعة والجماهير المغلوبة أن



إلى الأستاذ محمد محمود زيتون

ورد في مقالكم جامعة الزهراء المنشور في مجلة الرسالة الغراء عدد ٩١٩ ـ ١٢ فبراير سنة ١٩٥١ حديث . خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء . أي عائشة ، ولقد ظن كثير من العلماء بأن هذا الحديث صحيح . ووضعا للحق في نصابه رأيت أن أتثبت منه فرجعت إلى كتاب معارج الألباب في مناهج الحق والصواب للنعيمي المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ فرأيته يقول عن هذا الحديث : وقد بحثنا عن هذا وإذا حفاظ هذا الفن وأئمة هـذا الشأن لا يعرفونه في جميع ما وقفنا عليه من كتبهم الحوافل ولم يأتوا فيه بسند ضعيف، فضلا عن حسن، فضلا عن صحيح . وقد كشف أمره الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي في المقاصد الحسنة وكذا العلامة ابن الديبع في مختصره (تمييز الخبيث من الطيب) والفيروزابادي في آخر كتابه سفر السعادة وهذا الحديث ذكر في بعض المصنفات القديمة منها النهاية لابن الأثير ، ونص العالمون على أنه حديث منكر لم يجد له العلماء الحفاظ إسناداً قط بل قال ابن القيم الإمام « كل حديث فيه ياحميراء أو الحميراء فهو كذب مختلق » . ويقول ابن الديبع في كتابه تمييز الخبيث من الطيب (خذوا نصف دينكم من الحميراء . يعني عن عائشة رضي الله عنها قال ابن حجر لا أعرف له إسناداً ولا رأيته في شيء من كتب الحديث إلا في النهاية لابن الأثير ولم يذكر من خرجه، وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير أنه سأل المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه ؟

ومما تقدم نعرف بأن الحديث موضوع ومفترى على صاحب الرسالة وختاما أشكر لكم هـذه الفكرة الجريئة، وحبذا لو وجدت قبولا من أولي الأمر

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد أحمد عطيفي الشامي

معهد التربية العالي للمعلمين

حول أديب بمناظم

كتب الأستاذ محمد خالد حنفي في العدد السالف من الرسالة الغراء يسأل زميله رجب البيومي عن مراجع المقال الذي نشر في العدد المذكور لأنه وعد — على حد قوله — في صدر المقال أن يذكرها ، وأنا أقول لا داعي لهذا السؤال فالمراجع — بحمد الله كثيرة ومعروفة ولكن الذي يدعو إلى التساؤل حقا هو هل هذا المقال أو مضمون هذا المقال وقع لياقوت الحموي وحده مع شميم أم هو وقع لعدة أشخاص من بينهم ياقوت وإنما الذي قام بدور المؤلف بين هذه الطرائف إنما هو خيال الأستاذ البيومي ؟؟ أؤكد للاستاذ البيومي أنني من المعجبين بأسلوبه وطريقته في الكتابة ـ غير أن هذا الاعجاب لا يقف حائلا دون أن أقول إنه يجب أن يكون هناك شيء من الأمانة في النقل ونسبة الوقائع إلى أصحابها في النقط الجوهرية على الأقل؛ ولا علينا بعد هذا أن يعمل الخيال فعله في صوغ القصة وتجويدها . وها هو ذا ياقوت الروى يذكر هذه الوقائع في (معجم الأدباء) ص ٥٠ ج ١٤ ويسجل المحاورة الطريفة التي وقعت بينه وبين شميم وليس من بينها قصة السجود وإنما يذكرها ياقوت — عن طريق الرواية — لشاعر آخر استنشده شميم فأجاد ثم أنكر عليه نسبة الشعر وتحداه أن يأتي بشعر في هذا المعنى فارتجل الشاعر أبياتا يعتذر فيها في أن القريض قد لا يأتيه عفواً فانتزع إعجابه بهـذه الأبيات وأمره

تميد إلى نفسها حقا فرضه الدين وجحده السلطون

وبعد فقد قرأت للاستاذ قطب في معظم كتبه التي تفضل بها على ورافقته في الكثير من إنتاجه ؛ ولكني أحسست بمنف العزة حين قرأت هذا الكتاب الجديد لأنه منطق الشعور العام لا منطق الأذناب والعبيد . . .

هذه كلمة لا أظنها تكفي لتسجيل ما في هذا الكتاب من قوة وتفكير وصدق وإيمان

ابراهيم الوائلي

بالسجود . وليس من يتهم أيضا قصة (نشيد) النائحات على الاطلاق .وهنا يبلغ بنا العجب أقصاه إذ كيف يتصور أن تقع هذه الحادثة الفريدة لياقوت ثم يهملها وهو من هو في اقتناص الطرائف وتصيد أخبار الأدباء ؟.. ثم إني أشك في وقوع هذه القصة أصلا من شميم نفسه ، شميم الذى يقول عنه ابن خلكان (إنه أديب فاضل له خبرة باللغة والأدب جم الفضائل الخ) كيف تتخلى هذه الأوصاف جميعها عن الرجل ليهبط إلى مصاف الجانين فيضع (نشيداً) للنائحات ثم يقوم بتلحينه وتمثيله مع نخبة من تلاميذه المجانين .ولو قد فعل ذلك لوجد نفسه مشمولا بارعاية في كتاب (أعقلاء المجانين) على الأقل ولم يعرف بمهذب الدين ، وصاحب فضائل ، وشيخ الأدباء .

وهل من الأدب أن يلطم الشخص خده ويأمر به تلاميذه من أجل النادبات النائحات ؟ أعوذ بالله !

مختار محمد هويس

هذه هي المراجع :

صديقي الأستاذ الأديب محمد خالد حنفي على حق حين يطلب مني ذكر المراجع التي نقلت عنها مقالي المعروف « أديب يتعاظم » بعد أن وعدت بها القراء

والواقع أني سجلت المراجع في صدر المقال ، ونسيت مطبعة الرسالة أن ترفقها بالبحث كما هو المتاد ، وهأنذا أضعها للقراء من جديد

(١) معجم الأدباء جـ ١٣ ص ٥٠

(٢) معجم الأدباء جـ ٨ ص ١٢٢

(٣) أنباء الرواة ص ٥٤٣

(٤) بغية الوعاة ص ٣٣٣

(٥) صحيفة دار العلوم (س ٥) يولية ١٩٣٨ م

وللأستاذ خالد تحياتي وشكري

محمد رجب البيومي

(المنصورة)

طه حسين الشاعر . .

كثرت في الآونة الأخيرة الأحاديث عن نابغة الجيل وشعر نابغة الجيل عميدنا الدكتور طه حسين باشا

ولقد قال البعض إن عميدنا انقطع عن الشعر منذ عام ١٩١٤ ، وجاء آخرون فأوردوا له شعراً انبث في ثنايا كتبه التي ظهرت بعد هذا العام . .

والحقيقة الواقعة أن عميدنا لم ينقطع عن الشعر أبدا حتى العام الماضي فقط ، وقد أشار الأستاذ إبراهيم محمد نجا إلى ذلك . .

ففي كتابه الفريد (جنة الحيوان) الذى ظهر في العام الماضي ، ابتدأ فصلا منه بهذه السطور التي هي في الواقع شعر مقفى موزون :

من أين أقبلت يا ابنتي ؟ • من حيث لا تبلغ الظنون !
ماذا تريدين يا ابنتي أريد مالا تقدرون !

كيف تقولين يا ابنتي ؟ أقول مالا تصدقون !
أسرفت في الرمز يا ابنتي بل مالكم كيف تحكمون !

وينظر الشيخ حوله فلا يرى من يحاوره
وينكر الشيخ نفسه ولا شكوك تساوره

فقد رأى شخصها الجميل تظله هذه الغصون
ولم يزل صوتها الضئيل يثير في نفسه الشجون

وكانت الشمس قد تولت كالأمل الخائب الكذوب
وظلمة الليل قد أظلت كاليأس إذ يغمر القلوب

أما بعد ، فما أشبه نفس عميدنا بالنبع العذب الرقراق ، لا ينقطع فيضه أبدا ، رضى أم لم يرض فعلى الناس أن يرشفوا من كأسه ويعبوا من نبعه

ولإخواننا الباحثين الأجلاء ، خالص الشكر والثناء

ع . الرقم



العظام المقدسة

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

للأستاذ حسين أحمد أمين

(رسالة إلى الأب لويس دانيير تيبس سواسون)

سيدي الفاضل :

يؤلمني أن أنهي إليك أن الخطبة التي كانت قائمة بين ابنة عمك وبيني قد انفصمت عراها ، وأن هذا الانفصام إنما يرجع إلى أتفه الأسباب وأبعثها على الضحك . . هي لعبة قذرة لجأت إليها عن غير عمد . . لذلك ألجأ إليك يا سيدي العزيز لتنقذني مما أنا فيه ولن أنسى لك ما حييت ما قدمته لي من مساعدة

إنك تعرف جيلبرت . . أو بالأحرى تظن أنك تفهمها . . ولكن من ذا الذي يفهم امرأة ؟ ومن ذا الذي بإمكانه أن يثق بآراء النساء ومعتقداتهن وأفكارهن ؟ ألا ترى أنهن لا يثبتن على وضع ولا يستمن بمنطق ، وأنهن يتهربن في المناقشات ، ويبدون متمسكات بآرائهن إلى حد العناد ثم يتحولن عنها فجأة لمجرد أن طائرا صغيرا قد ظهر عند حافة النافذة ؟

ولست في حاجة إلى أن أبين لك مدى تمسك ابنة عمك بالدين إذ هي — كما تعلم — قد تلقت دروسها عن الراهبات في نانسي . . وربما كنت تعلم عنها في هذا الصدد أكثر مما أعلم . ولكني على ثقة من أنه قد غاب عن ذهنك أنها امرأة قبل كل شيء وأنها في عواطفها وآرائها كالريشة في مهب الريح . فما أسرع تحولها من الإشفاق إلى الغضب ، ومن الحب إلى الحقد !

حسن ! لقد خطبتها وأحببتها إلى حد العبادة وقد بدا لي أنها تحمل لشخصي بعض الميل . وفي إحدى الأمسيات تلقيت برقية تستدعيني إلى كولونيا لإجراء إحدى العمليات. فأسرعت إلى جيلبرت لأودعها وأعتذر لها من عدم إمكاني تناول العشاء مع والديها يوم الأربعاء ولأطلب منها أن تؤجل الحفلة إلى يوم الجمعة عند عودتي . . آه يا عزيزي . . حذار من يوم الجمعة فإنه يوم شؤم

وعندما أخبرتها بعزمي على القيام بالرحلة رأيت دمعة تلمع في عينيها. ولكن ما إن أخبرتها بنيتي في الرجوع في أسرع وقت حتى صفقت بيديها وصاحت :

« حسن . . حسن . . يجب أن تحضر لي هدية معك . . أية هدية رخيصة الثمن أبقيها معي دائما لتذكرني بك . . ولكن عليك أن تنتقيها لي وأن تتأكد من أنها ستدخل السرور على نفسي . .

ثم قالت :

« إني أمنعك من أن تشتري هدية بأكثر من عشرين فرنكا . . إذ لا يهمني عظم قيمتها وفداحة ثمنها . . إنما يهمني حقيقة شعورك وإخلاصك لي » وسكتت قليلا ثم قالت وهي تخفض من بصرها :

« إذا اشتريتها لي بثمن منخفض ونالت إعجابي فسأمنحك قبلة . . »

وسافرت في اليوم التالي إلى كولونيا . . فوجدت المصاب رب عائلة فقيرة ووجدت جراحه من الخطورة بحيث تستدعي عملية عاجلة . . فأجريتها له ومكثت إلى جواره ثمانيا وأربعين ساعة . . حتى إذا ما رأيته قد بدأ يرجع إلى نفسه استقللت عربة إلى المحطة

وعلمت أن القطار سيبرح بعد ساعة فخرجت أتجول في الطرقات وأنا أفكر في المريض البائس . وإذا برجل يتقدم مني . . ومع أني لا أفهم الألمانية وهو لا يفهم الفرنسية استطعت أن أدرك منه أنه يبيع آثارا للقديسين . . وفجأة تذكرت جيلبرت . وتذكرت أنها شديدة التدين . . فتبعت الرجل إلى حانوته واخترت من بين محتوياته عظمة صغيرة من عظام إحدى القديسات محفوظة في علبة جميلة من الفضة . . ثم سافرت . .

وعندما وصلت إلى منزلي أردت أن أرى العظمة مرة أخرى . ففتحت العلبة . . وإذا بي أراها خالية . وفتشت جيوبي واحدا إثر الآخر ولكني لم أعثر لها على أثر

وأنت تعلم يا عزيزي القسيس أن معتقداتي الدينية ليست بالمتينة. وتعلم أني لا أعتقد في قدسية آثار القديسين - وتشاركني أنت في هذا الرأي . لذلك لم أحزن على فقد العظمة وبحثت عن أي شيء أحله محلها . . ثم ذهبت إلى حبيبتي . .

وما إن دخلت الحجرة حتى جرت إلي وهي تقول :

— ماذا أحضرت لي ؟

وتظاهرت بأني قد نسيت طلبها ولكنها رفضت أن تصدق.. وتوسلت إلى أن أريها ما أحضرته لها .. وأخيرا أظهرت لها العلبة وبداخلها عظمة صغيرة فكادت تجن من الفرح ..

— عظمة لإحدى القديسات !!

ورأيتها تقبل العلبة في خشوع ..

بدا ضميري يوبخني على الخدعة التي ارتكبتها وسألتني بغتة:

— هل أنت واثق من أنها لإحدى القديسات ؟

— كل الثقة . .

— وما دليلك على هذا ؟

وشعرت بحرج الموقف . . فإن أنا أخبرتها أني اشتريتها من بائع متجول فقد ضاع كل شيء . . فماذا أقول ؟ وطافت بعقلي فكرة جنونية فقلت لها في صوت منخفض غامض :

— لقد سرقتها من أجلك . .

ورأيتها تحدق في بعينيها الواسعتين :

— ماذا ؟ سرقتها ؟ من أين ؟

— من الكنيسة .. ومن المكان الخاص بآثار القديسات.

وأخذ قلبها يدق بشدة ، ورأيتها تكاد أن يغمى عليها من الفرح وغمغمت : وسرقتها أنت من أجلي ؟ قص على القصة كلها..

وهكذا لم أستطع التراجع .. فقصصت عليها قصة من مخيلتي ساردا فيها أدق التفاصيل . وقلت إنني رشوت الحارس بمائة فرنك لكي يسمح لي بالدخول وحدي .. وإن العمال الذين كانوا يصلحون المكان خرجوا لتناول الغـــداء ففتحت أحد الصناديق وسرقت عظمة صغيرة ثم أقفلت الصندوق ثانية وذهبت إلى الصائغ فصنع لي علبة من الفضة

ورأيتها تستمع إلي في ذهول وسعادة ثم سمعتها تتمتم : ما أعظم حبي لك ! وغاصت بين ذراعي . .

لتلق بالك إلى هذا ياسمادة القسيس.. لقد سرقت. وانتهكت حرمة الكنيسة وغرفة القديسات وسرقت آثارا مقدسة .. وبسبب ذلك تحبني وتعتبرني مخلصا كاملا عظيما !

هكذا النساء ياعزيزي القسيس .. دائما أبدا ..

وظللت شهرين إلى جوارها وهي تعتبرني أخلص المحبين وأكثرهم سحرا .. ورأيتها تضع العلبة في مكان أعدته لها لتتعبد إلى جوارها صباحا ومساء ..

وما إن جاء الصيف حتى انتابها شوق إلى رؤية مكان الجريمة وألحت على والدها بشدة دون أن تطلعه على السبب الحقيقي كي يصحبها إلى كولونيا .. وقد أخفوا جميعا عني سر هذه الرحلة ..

وأظنك تعلم ياسيدي أني لم أشاهد في حياتي كنيسة كولونيا من الداخل .. وأني لا أعلم ما إذا كانت هناك حقا غرفة للقديسات أم لا ..

وبعد أسبوع تلقيت ستة سطور من جلبرت تفسخ فيها الخطبة وخطابا من أبيها يشرح لي السبب في الفسخ . لقد ذهبا إلى الكنيسة ودخلا غرفة القديسات وسألت هي الحارس عما إذا كانت قد وقعت سرقة من الغرفة في يوم ما . فضحك وبين لها استحالة السرقة ..

لقد اعتبرتني غير جدير بحبها منذ اتضح لها أنني لم أسرق من هذا المكان الطاهر ، وأن يدي الدنسة لم تتسلل إلى العظام المقدسة

ومنعتني من دخول منزلها برغم توسلاتي الحارة

أتضرع إليك ياسيدي القسيس أن تتوسط في الأمر وأن تشفع لي عندها .. ولك مني أخلص الود

حسين أحمد أمين

مطبعة الرسالة